

العلاقة بالآخر ونشأة علم الإجتماع بالمغرب

العربي

بقلم : د. عماد بن صولة

العمران الخلدوني يعلم الإجتماع والتي اجتهد محمد عابد الجابري في تحديدها ضمن كتابه " العصبية والدولة" فإن هذا الموقف يحمل شحنة أيديولوجية أكثر منها علمية نقدية إذ أن ابن خلدون ظل لقرون نسيا منسيا لدى العرب ، فرغم انتشار مقدمته بينهم فإنهم لم يدركوا شيئا من قيمته إلا في بداية هذا القرن وبصورة خاصة بعد الحرب العالمية الأولى حينما أصدر طه حسين كتابه " فلسفة ابن خلدون الاجتماعية " (1) ويبدو أن ذلك قد حدث تحت تأثير الإكتشاف الغربي لفكر ابن خلدون في سياق البحث في التاريخ العام لسوسيولوجيا الحضارات ، ففي إطار محاوره الآخر (الغرب الأوروبي) أعيد النظر في هذا المرجع بعد نفخ الغبار عنه ، فقرأ من جديد في ضوء مكتسبات العلوم الإنسانية والاجتماعية الناشئة ، وتحت وطأة الشعور بصدمة الحداثة . ولما كانت هذه المحاور حاضرة معقدة فقد

لا شك أن التفكير الإجتماعي قد سبق تأسيس علم الاجتماع نفسه إذ كان جزءا من الممارسة المعرفية لاسيما في شكلها الفلسفي . ويميز أفلاطون وأرسطو وابن خلدون ومونتاسكيو وسان سيمون وروسو وبرودون كأهم المفكرين الذين ساهموا في صياغة تاريخ لعلم الإجتماع قبل أن ينفصل هذا الأخير عن سائر الأشكال المعرفية الأخرى ويستقل بنفسه كعلم متميز في القرن التاسع عشر .

_ إشكالية التراث الخلدوني :

ورغم أن التراث السوسيولوجي يمثل سلسلة متصلة فإن العرب كثيرا ما يقفون عند إحدى حلقاتها وهي تلك التي يمثلها ابن خلدون في محاولة لإثبات سبق العرب في تأسيس هذا العلم ، أو على الأقل جدارتهم بتأصيله نظريا طالما أن ممارسته ليست غريبة عنهم . وبصرف النظر عن طبيعة صلة علم

الاجتماعي ، وهو ما يتجلى في أولى الدراسات التي أجريت على المغرب العربي حيث أنها تخرج عن إطار الموسيولوجيا بمفهومها الدوركامي المعروف ، وتشير هنا علي سبيل الذكر إلي كتاب مولي راسـ المغرب المجهول " سنة 1895 وأعمال - دوتي مثل "مراكش" و"في القبيلة" - "الإسلام الجزائري".

كانت هذه الدراسات تجري تحت إشراف الإدارة الإستعمارية وبإيعاز منها في كثير من الأحيان ، بل إن بعض الضباط تجندوا بأنفسهم للقيام بأبحاث أنتوغرافية ، ونظرا لهذه الخلفية السياسية كانت تلك الأعمال كما يصفها دابيل أكلمان عبارة عن تقارير بوليسية هدفها التقصي والرقابة لمواجهة كل خطر محتمل يصدر عن هذه أو تلك من الجماعات أو القطاعات أو الهياكل الاجتماعية (4) فدوتي مثلا في خاتمة كتابه "لإسلام الجزائري " في سنة 1900 وبعد عرض واقع الطرق الصوفية يدعو صراحة إلي استغلال المعطيات التي وفرتها دراسته في سياسة الإدارة الإستعمارية للأهالي (5) .

ثم تزايدت الاهتمامات الموسيولوجية والأنثروبولوجية بالمغرب العربي فتأسست البعثة العلمية " في طنجة بالمغرب الأقصى فجر هذا القرن والتي أصدرت " المخطوطات

كان الاهتمام به ، وإن بدا ثقافيا وعلميا ، فإنه ينطوي علي أبعاد نفسية وإيديولوجية دفيئة .

وكما يلاحظ أركون " أصبح ابن خلدون بل مقدمة ابن خلدون بصفة خاصة سلاحا إيديولوجيا أكثر منه موضوعيا تاريخيا فكريا للتعرف على حقيقة الحركة الفكرية في المجتمع الغربي "(2) بحيث سرنا نواجه إشكالية خلدونية من الطراز الأول(3) .

ومهما يكن من أمر فإن علاقة العرب بعلم الاجتماع حتي من خلال ابن خلدون تندرج في سياق التفاعل مع الفكر الغربي إذ لا ننسى أن استخدام المناهج الحديثة بوجه عام كان قد دشن مع عصر النهضة .

لكن هذا المسار الفكري والثقافي لم يكن ذا طابع نظري علي نحو مثالي إذ أنه كان يستند أساسا إلي معطيات موضوعية دقيقة جديدة فرضها التدخل الاستعماري في العالم العربي .

- سوسيولوجيا الحقبة الاستعمارية :

إذ سلمنا بأن نشأة السوسيولوجيا في المغرب العربي مرتبطة بخضوعه لهيمنة الاستعمار ، فإن التاريخ لها عملية لا تخلو من المشاكل نظرا لصعوبة تحديد المجال الذي تعطيه الدراسات السوسيولوجية بما يجعلها تقتحم علومًا إنسانية مثل الأنثروبولوجيا والأنثولوجيا والعلوم السياسية والتاريخ

وهكذا تبدو الممارسة الموسيولوجية في بدايتها انذاك كجزء من نشاط الإدارة الكولونيائية وكوسيلة معرفية هاجسها تكريس اليات الإخضاع السياسي، وهو ما يبرز طابعها الأيديولوجي " الفج " ويغسر الإهتمام بموضوعات محددة كالقبيلة والتقابل بين العرب والبربر والطرق والزوايا قبل أن ينصب التركيز في مرحلة متأخرة (أواخر الإستعمار) على ترصيد التفسيرات التي طرأت على الهياكل الاجتماعية التقليدية كالعائلة والقبيلة وعلى الترتب الاجتماعي مثلما تشير إلى ذلك دراسة مونتاني حول البروليتاريا المغربية باعتبار بروزها بعد أحد مظاهر التشكل الطبقي الحديث الذي أفرزه التدخل الإستعماري .

إننا في هذه المرحلة إزاء موسيولوجيا مغربية لكن ممارستها لم تكن تحمل تلك الصفة إلا من حيث الموضوع ، إذ أن الباحثين هم من الفرنسيين أساسا قبل أن يلتحق بهم نظراؤهم البريطانيون في وقت متأخر نسبيا فهي بالأحرى موسيولوجيا حول المغرب العربي .

- من التبعية إلى النقد :

ومهما يكن من أمر فإن تلك الدراسات ألقت تراثا حقيقيا لا يستهان به ليس فقط من جهة ما وفرت من معطيات ميدانية لا شك في

المغربية " ثم ظهرت " مجلة العالم الإسلامي سنة 1906 وكان "لـ" بيلر " دور كبير في الدفع بهذه الدراسات . ويمكن اعتباره " المخطط الأول لمسيرة الموسيولوجيا الكولونيالية " وقد كان يرى أنه من الواجب علي الموسيولوجيا أن تنقسم إلى ثلاثة حقول: موسيولوجيا المخزن، الموسيولوجيا الإسلامية، الموسيولوجيا المغربية (6) .

أما عن الخلفية النظرية لأكثر الأعمال فتقوم على اعتبار تلك المجتمعات في وضع ثابت جامد ، فالمغرب العربي بالنسبة إلى مونتاني وقوتيا ومونيا على سبيل المثال يبدو كأنه ما قبل التاريخ كما لاحظ جاك بيريك في قرائته النقدية (7) .

من هنا جاء تمسك الأخصائيين الكولونياليين بمفهوم العقلية البدائية لـ " لغني برويل " لكي يموغوا نظريا فرضيتهم التي ترى بأن الديانة الإسلامية تفرض علي أفراد المجتمع سلطة قوية، الشيء الذي جعل، مثلا ، عقول المغاربة ، بصورة جماعية ، محشوة بعدد من الصور الثابتة التي لا تقبل أي تعديل أو تحويل (8) . يعني ذلك أن هذه المجتمعات بطبيعتها غير قادرة علي التطور الذاتي بما يشرع انتصاب الاستعمار فيها ما دام سيدمجها في حركة التاريخ والحضارة .

أوروبا والولايات المتحدة . وهكذا فإن علم الاجتماع في المغرب العربي يندرج في صميم العلاقة بالآخر الغربي باعتباره يمثل المرجعية الأساسية إن لم تكن الوحيدة لهذا العلم .

ولئن كانت تصفية الاستعمار قد وضعت هذه العلاقة ضمن إطار جديد أخذ فيه الباحثون المغاربة بزمam الأمور في ممارسة البحث حول مجتمعاتهم فإن ذلك لم يؤد إلى مغربة علم الاجتماع إذ أن الطابع العربي للبحث كما يقول بوحدية " لا يتحدد بالموضوع ولا في اللغة المستعملة ولا في جنسية الباحث وإنما في نوعية صلته بمجتمعه ومدى تدرجه في فهم تلك العلاقة العضوية التي تجعل المجتمع يؤول إلى تنظير ويوحى بمفاهيم عملياته " (10) .

لقد كان الهم الأكبر للمشتغلين بعلم الاجتماع فجر الإستقلال هو افتكاك مكان له في الدوائر الأكاديمية، ولا شك أنهم نجحوا في ذلك ، فقد حسم أمر إثبات الوجود لعلم الاجتماع في الجامعات المغربية بل صارت له مراكز دراسات وأبحاث . لكن هذا الوجود ظل باهتا ، محدود التأثير في المجتمع .

إن الارتهان إلى المرجعية الموسيولوجية للآخر لأفرز معرفة اجتماعية منبثة عن بيئتها أسيرة لمقولات نظرية مسقطه . إنها حالة من

ثرائها ، وإنما أيضا من جهة النماذج النظرية التي ارتبطت بها وإن كانت ذات أهمية أقل، ونذكر هنا الإنتقاسامية التي مثلت إطارا نظريا بارزا في مقارنة مجتمعات المغرب العربي .

هذا التراث بخلفيته الأيديولوجية كان مثيرا لتفكير المغاربة . وقد هيأت محاورته المناخ النفسي والثقافي لممارسة علم الاجتماع من قبل الباحثين المغاربة أنفسهم ولعل ذلك من الأسباب التي تفسر نشأة علم الاجتماع في المغرب العربي قبل جل المناطق والمجتمعات العربية الأخرى .

بيد أن التفاعل مع الثقافة الغربية في ساحة هذا العلم الناشئ لم يكن يعني القطعية والمجابهة، بل علي العكس من ذلك تماما، فقد جاءت ممارسة علم الاجتماع من قبل الباحثين المغاربة مندمجة في النسق النظري والمنهجي للدراسات التي كان قدمها نظراؤهم الفرنسيون والانجلوساكسونيون ، بحيث لم تقطع مع التقاليد المعرفية السائدة في هذا المجال ولا أدل على ذلك من سيطرة المدارس الفكرية الغربية . ورغم أن هذا التأثير هو جزء من ظاهرة عامة فإن علم الاجتماع بالذات نظرا لحدثاته في الوطن العربي كان تأثره أكثر قوة (9) حيث انتشرت المدرسة الوظيفية التي كانت مهيمنة علي الأدبيات الموسيولوجية في

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بالبطاط 1979 ص 29 .

3 - غالي شكري : " من الإشكاليات المنهجية
في الطريق العربي إلى علم اجتماع المعرفة"
مجلة المستقبل العربي عدد 77 تموز (يوليو)
1985 ص 135 .

4 - داييل ايكلمان : " الإسلام في المغرب" ج 1
ترجمة محمد أعفيف، دار توبقال للنشر، الدار
البيضاء، المغرب الطبعة الأولى 1989 ص 44.

5 - Edmond Douthe : Algérien en l'an - 5
1900, Alger imprimerie giralt 1900 PP
136-138

6 - عبد الصمد الديالي : ملامح تطور

السوسيولوجيا في المغرب . ضمن كتاب : نحو
علم اجتماع عربي . مركز دراسات الوحدة
العربية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى.

7 - J.Berque : Magrèb, histoire et
société, Ed.J.Duculot et S.N.E.D, Alger
1974, P191

8 - داييل ايكلمان : مرجع مذكور، ص 35.

9 - حيدر إبراهيم علي : علم الاجتماع
والصراع الأيديولوجي في المجتمع العربي،
مجلة المستقبل العربي العدد 78 السنة 8،
(أغسطس) 1985 ص 14.

10 - عبد الوهاب بوحدية : لأفهم : فصول
عن المجتمع والدين، الدار التونسية للنشر
1992 ص 19.

الاغتراب دفعت علماء الاجتماع المغاربة
والعرب بوجه عام إلى المسألة والشك في
جدوي الاستخدام الآلي لأدوات التحليل
والمفاهيم النظرية المنحدرة من المدارس الغربية،
في هذا السياق رجع البعض إلى ابن خلدون
وانكب البعض الآخر على إعادة صياغة
وتطويع بعض المقولات النظرية لأبرز
السوسيولوجيين الغربيين مثل دوركايم وماركس
وفيسر وباريتو وبارسونز . في حين انصرفت
مجموعة ثالثة إلى بناء مفاهيم خاصة بها.

وتشكل هذه الخطوة النقدية ، التي نحسب
أنها قد أخذت تؤتي بعض ثمارها ، التأسيس
الحقيقي لعلم الاجتماع المغربي والعربي . علمي
أنه من الضروري الإشارة إلى أن ذلك يجري
ضمن شروط حادة من الضغوطات والصعوبات
تعكس أزمة العلوم الاجتماعية بوجه عام التي
ليست هي في نهاية الأمر سوى مظهر من
مظاهر أزمة إنتاج المعرفة والخطاب العلمي في
مثل هذه المجتمعات .

المراجع

- 1 - أبو القاسم محمد كرو : العرب وابن
خلدون دار المغرب العربي ، الطبعة الرابعة
تونس بيروت 1988 ص 25 .
- 2 - محمد أركون : " نحن وابن خلدون "

العولة بين مفهوم التماثل وتعدد الاختلاف

د. مصطفى الكيلاني

(تونس)

ويحدث. فإن الواصل بدءاً بين "نحن" و"الآخر" تلك الجغرافيا الخاصة التي لا يقدر على الخوض في أجزائها وتفصيلها إلا علماء الاجتماع والمؤرخون والباحثون في علم الأناسة والسياسة والإقتصاد والمفكرون عامة.. فينشأ في الدراسات المستقبلية علم أساسي تنحصر

وظيفته تقريباً في رسم الحدود بين البلدان والتكتلات الإقليمية الكبرى والقوميات والحضارات وهو علم تقريبي من حيث مناهج التناول البحثي والنتائج لأنه يستقرى، الممكن مستقبلاً استناداً إلى حقائق ووقائع وافتراضات هي أقرب إلى الاحتمال أحياناً منه إلى الحدث أو إمكان الحدث...

ليست "العولة" في تقدير بدئي حدثاً طارئاً تولد فجأة إثر انهيار الإتحاد السوفياتي وارتباك المواقع في الخارطة الكونية التي أنشأتها ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية، بل إنها مشروع ترددت أصداؤه في كتابات الفلاسفة والمفكرين منذ أكثر من قرنين تقريباً وتجسم أيديولوجياً على أرضية الواقع في

بين التماثل والاختلاف يتنزل سؤال "العولة" ومستقبلها في خارطة المواقع الأكثر فاعلية كونياً خلال القرن القادم.. إن "نحن" العربي الإسلامي، تسمية لها موقعها المخصوص الذي تستمد علاماته الخاصة من الراهن بدلالاته الجغرافية ومن التاريخ الذي يفسر حضوراً في الآن قبل أن يوصف بالماضي.. أما "الآخر" فهو المتعدد ثانياً أو اقتراباً، الحاضر فينا والمنفصل عنا بحكم مغاييرته لنا..

فبين "نحن" و"الآخر" خارطة كبرى من المواقع تبدو اليوم سريعة التحول إذ "الآخر" متعدد شأنه في ذلك شأن "نحن" في الأصل، يتخذ له أوطاناً وثقافات مختلفة، وهو المتعدد أيضاً تبعاً لأحكام اقتضتها أحوال سالفة وأخرى جديدة حادثة.

وإذا سؤال "العولة" و"نحن" و"الآخر" مشروط بالتاريخ والأرض معا إذ لا معنى لوصف تاريخي خارج وطن ما ولا يمكن لدلالة المكان أن تستقيم دون وعي لما حدث

الذي أدى إلى الوقائع الجديدة الراهنة ومحاولة تنزيل "نحن" الإسلامي في الخارطة الكونية العامة اليوم.
الإحسان ذو البعد الواحد

يصف هاربارت ماركوز (h. marcuse) "الحاضرة الصناعية المتقدمة" منذ عقود فيستخلص سماتها الكبرى : "الرفاه، الفعالية، افتقار الحرية في إطار ديموقراطي.."(1)

فالحقوق والحرريات التي كانت الحافز الأول لبناء المجتمع الصناعي فقدت فاعليتها في هذا العصر: "إن المجتمع الصناعي المعاصر يميل بحكم طريقة تنظمه لقاعدته التكنولوجية إلى الفزعة الكلية الاستبدادية...."(2)

وإذا النموذج الأول الذي اتبعه المجتمع الكوني في زمن لاحق ليس إلا وجهها لترسيخ الاضطهاد داخل مجتمع صناعي متقدم.. وما كان اضطهادا صرفا في ماضي

البشرية ينقلب إلى اضطهاد يعارس باسم الحرية ذاتها كأن تصطدم الحرية في هذا العصر بواقع مختلف للاختيار، المتاح للفرد. وإنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد اختياره وما يختاره..(3)

وإذا المجتمع "ما بعد _ الصناعي" الذي نشهده اليوم في إطار كوني ليس إلا

"الأممية" الأولى فالثانية فالثالثة.. وقد بدأ في المنتصف الثاني من هذا القرن، محلا للصراع بين القطبين بحثا عن سيطرة القوة الواحدة.. وما كان مرفوضا في الإتحاد الديمقراطي الليبرالي خوفا من الإنتشار الكامل للشيوعية طيلة عقود أمسى اختيارا استراتيجيا في نهايات هذا القرن.

أما "نحن" و"الآخر" والصلات القائمة بينهما فإنها تمثل مجموع سمات تحد بالهويات الديناميكية، بما يثبت ويتغير عبر العصور في متعدد المواقع.

إن "العولة" قد تعني النزوع إلى التماثل إذا حصرنا الموضوع في حيز الإقتصاد، وهي وحدة الاختلاف الممكنة إن حولنا مجرى الحديث من الإقتصاد مفردا إلى ما هو أعمق في الزمان والمكان أي الثقافة، وتحديد اللغة والعقيدة بعد أن تساوت الأيديولوجيات التقليدية دون التسليم المطلق بانتهاء عصر الأيديولوجيات وانقضاء التاريخ.

فتمرض لنا بدءا قراءتان تساعدان على تمثل المشهد الكوني العام في نهاية هذا القرن وخلال القرن المقبل كما يصفه صاموئيل هانتنغتون (samuell huntington) في كتابه "الصراع بين الحضارات" وذلك قصد بيان صلة الحادث بالسالف وإثبات تراكم الظواهر

التكنولوجي وتراجع "الفكر السلبي" القادر باستمرار على المسألة ونفي الإثبات. فنقد براغماتية وتغنشتاين و " الإيجابية" والوضعية (positivism) ليس إلا جزءاً من نقد أيديولوجيا الاستبعاد الجديد. فكما يماط للثام عن السياق التجريبي، عن العالم الإختباري الواقعي يشار إلى سياق " غرف الغاز ومعسكرات الاعتقال وهيروشيمنا وناكازاكي والينتاغون والكرملين والمدن النووية والكومونات الصينية وكوبا وعمليات غسل الدماغ والمجازر والحرية والإشهار..." (5) وليس القصد من هذا النقد التنظير للرجوع إلى ما قبل المجتمع التكنولوجي وبيان استحالة تحقيق الحرية فيه، وإنما الغرض من ذلك مغالبة الانحراف الناتج عن الإفراط في تقنين الاختبار... إلا أنه يظل متردداً بين التنظير للأخلاق والانتصار لتأليل (من الآلة) مغايراً لما هو قائم، بين عقلانية التكنولوجي و " لاعقلانية الفن والقيم الروحية" بين نقد " المجتمع التكنولوجي " الموسوم أصلاً باضطهاد الكائن ومحاصرة الفردية وبين إقرار واقع الانتماء إليه والبحث عن سبيل للخلاص داخله.

وإذا الإنسان ذو البعد الواحد " مشهد خاص بالمجتمع التكنولوجي المتقدم. وما يرد جزئياً غارقاً في محدودية الفضاء الجغرافي

امتداداً للمجتمع الصناعي المتقدم، كما يصفه ماركوز مجتمع الفرد المسلوب الإرادة تجاه الرقابة الاجتماعية وتكديس الأسلحة والخضوع لأحكام اقتصاد السوق وضرورات الاستهلاك.

إن " التجميع " نقيض " التفريد " لأنه يستلزم وضع قوانين عامة صارمة تعود بالكثرة إلى الواحد وبالمختلف إلى المؤلف وما كان مشروعاً لدعم وجود الفردية أمسى واحدي الاتجاه، ذلك هو مفهوم الإنسان ذي البعد الواحد في ظل من " العقلية التكنولوجية للعالم الكلي الاستبدادي..

فالحرية، بهذا المعنى، هي حلم البشرية ماضياً وحاضراً وإن ذهب الاعتقاد بالكثير إلى التسليم بأن الأمر مختلف بين "العقلانية ما قبل التكنولوجية" و " العقلانية التكنولوجية" كأن ينظر إلى المجتمع السالف كونه موصوفاً بالعبودية في حين يتسم المجتمع الحداث بالحرية. فتأمين الأشياء الضرورية للحياة ليس إلا هدفاً صعب المنال لعدد هائل من الأفراد في المجتمع التكنولوجي.. وعلى هذا الأساس يصعب تمثيل حدود جليلة بين الحرية والعبودية. بين الحقيقة والخطأ... (4)

وإن بدا موضوع الحرية خاصاً بالمجتمع والفرد الذي ينتمي إليه فإنه يعمق عند إشارة موضوع " الفكر الإيجابي " المستبد في المجتمع

نخبوها في حين يعود الآخر بازمة الكائن وانحباس الفردية داخل النموذج الواحد إلى النظام الليبرالي ذاته.

إن القرن القادم. في منظور فوكوياما. لن يكون إلا الديمقراطية الليبرالية بعد أن أسفرت نهاية الألف الثاني عن سقوط "السلطوية والإشتراكية" وتزايد عدد البلدان الليبرالية(8).

وبانتظار هذا النظام يشهد العالم نهاية التاريخ. فيواصل فوكوياما نهج المحاولات الخاصة بكتابة تاريخ شامل للإنسانية في المنهج العام لكل من كانط وهيجل وماركن وصولا إلى "نظرية التحديث" التي صاغها علماء اجتماع جدهم من الأمريكيين.

إلا أن مختلف هذه المحاولات لم تؤد إلى إجابات شافية بما في ذلك "نظرية التحديث" التي سرعان ما اصطدمت بتهمة "التمركز الإنساني" (9). ونتيجة لذلك استبد التشاؤم بمختلف الرؤى الفكرية في هذا القرن خلافا للقرن التاسع عشر.

إن الغرض من نهاية التاريخ والإنسان الخير "هو التمهيد، إذن لكتابة" التاريخ الشامل" بدافع وقف هذا التشاؤم.

وإن مثل التطور التكنولوجي مازقا حقيقيا تبعا لمنظور ماركوز في ما يتعلق بفردية

يتخطى مجال البلد الواحد أو بلدان الشمال الغربي عامة إلى الخارطة الكونية عند تحويل الرؤية في ذات الكتاب من استقراء حاصر ماركوز بعلماته المباشرة إلى المستقبل إمكانا للحدوث كما تبدى في "العولة" اليوم. الإنسان الأخير

يتغير المشهد من المجتمع التكنولوجي المتقدم الواحد إلى المجتمع الكوني كما يتبدل الوصف من ناقد لهذا المجتمع إل منتصر له. فيعرض في أفق فرانسيس فوكوياما البحثي مشروع قراءة جديدة لتاريخ البشرية بعد التشاؤم الذي استبد بالقراءات الخاصة بتاريخ الإنسانية خلال القرن العشرين. ويعود التشاؤم إلى استفحال أزميتين في ذات الحين "الأزمة السياسية والأزمة الفكرية العقلانية" (6). فنتج عن ذلك دمار هائل تمثل في هلاك عشرات الملايين وخضوع مئات الملايين "لأشكال جديدة أكثر قساوة من العبودية..". وازداد هذا الدمار إيذا للبشرية جمعا بسبب بقاء "الديموقراطية الليبرالية دون الموارد الفكرية الضرورية للدفاع عن نفسها..(7) وفي هذا المواطن بالذات يتباعد فوكوياما وماركوز رغم الدخل النقدي لكل منهما إذ ينتصر الأول للديمقراطية والليبرالية ولا ينفي المعوقات الكبرى الناتجة عن نقص الموارد الفكرية أو

الكائن فإنه وقد تحول من السياق المجتمعي الواحد إلى المجال الكوني " بالعملة" أضحي مؤشرا دالا على نهاية التاريخ إذ يولد احتمال الحروب دفعا كبيرا بهدف عقلنة المجتمعات ومن أجل خلق بنى اجتماعية متماثلة بين الثقافات. فكل دولة تأمل في الحفاظ على إستقلالها السياسي هي مضطرة لاعتماد تكنولوجيا أبحاثها ومناقشتها..(10)

وخلافا إلى ما اتصف به القرن العشرين من صراع تولدت عنه حروب طاحنة يسير العالم اليوم. حسب منظور فوكوياما المتفائل بخطى ثابتة صوب التوحد على أساس التنظيم العقلاني المتزايد للعمل..(11) إلا أن الفيزياء الحديثة. وإن أفادت في بيان البعد الإقتصادي والجغرافي - سياسي للعملة فهي غير قادرة لوحدها على تفسير الأبعاد الأخرى. ما يستلزم تنظيرا للحاجة إلى الاعتراف استنادا إلى هوبس ولوك وهيجل.

وقد تختلف المفاهيم بين "تيموس" أفلاطون " ورغبة المجد" لدى ماكيافلي و"الاعتزاز" أو "الكبرياء" عند هوبس و" حب الذات" لدى روسو و" حب الشهرة" عند هلملتون والإعتراف في الإصلاح الهيجسي و"الحيوان ذي الوجنتين الحمراءين" بلغة نيتشه. ولكن الواصل بين مختلف هذه الدوال

هو تلك الحاجة الروحية التي بها يختلف الكائن البشري عن الحيوان، وبها يحد الصراع أيضا بين " الأسياد" و" العبيد" في التاريخ، وبين دول و" دول أخرى" عند البحث في حروب القرن العشرين (12) وإن صرح فوكوياما بأنه لا تعارض بين القومية والليبرالية فهو يشير إلى أن الانتماء " الإثني" يمثل عائقا أكبر أمام الديمقراطية لحظة انقلابه إلى " قاعدة وحيدة للمواطنة وللحقوق الشرعية المرتبطة بها"..(13)، كما يتفصح الدين، في تقريره. عائقا ثقافيا ثانيا قد يتحول إلى التقيض. أي إلى حافز على الديمقراطية والتقدم إذا كان متسامحا مساواتيا" شأنه في ذلك شأن المسيحية في قراءة هيجل التي مهدت الطريق أمام الثورة الفرنسية من خلال وضعنا لمبدأ المساواة بين كل الناس على أساس مقدرتهم على القيام بخيار أخلاقي .. " (14) أما العائق الثالث فإنه يرد إلى الوجود المسبق لبنية اجتماعية غير عادلة أصلا..(15)

على هذا الأساس تكون الريادة في نهاية هذا القرن والقرن المقبل للثقافة الديمقراطية وللبلدان التي سبقت فيها الليبرالية مجيء الديمقراطية كما سبقت فيها الحرية المساواة..(16) ويتأكد هذا التسليم أن الحديث عن كلياتية المجتمع الياباني رغم نزوعه إلى

- هل بمستطاع الرغبة و" التيموس" أن يكونا مشبعين بواسطة النمط عينه من المؤسسات الاجتماعية والسياسية؟

- كيف سيحسم الاختلاف بين الحاجة إلى تحقيق الرغبة وبين الحاجة إلى الإعتراف بين المساواة والحرية؟

- وهل " الإعتراف" ممكن دون مساواة اقتصادية بين مختلف الأفراد؟

- كيف تتوقف الحروب بانقضاء التاريخ وتحويل وجهة " التيموس" والحاجة إلى الاعتراف من هيمنة بلد أو عدد محدود من بلدان الشمال على بلدان الجنوب إلى نظام جديد تتوزع فيه القوى أو تتجمع ضمن تكتلات إقليمية كبرى على أساس التوازن الضامن للأمن الجماعي؟

إن نزع كل من ماركوز وفوكوياما إلى التوصيف باعتماد الأول الفضاء المجتمعي الواحد وباستخدام الثاني المجال الأوسع الذي هو العالم فإن الأيديولوجيات ظلت حيزا مشتركا بينهما، إنه الرفض الصريح لليبرالية في اتجاه يقابله الانتصار الكامل لها. وفي كلتا الحالتين لا ينجو القارىء من فخ "الأدلجة" رغم أن فوكوياما على وجه الخصوص يرى أن كتابة التاريخ الشامل خارج أطواق الأيديولوجيا.

الديمقراطية الليبرالية كأن تتخذ هذه الديمقراطية شكلا تسلطيا حسب المواصفات الأمريكية والأوربية..". وذلك لتوجه المجتمعات الآسيوية عامة إلى الإمتثال الجمعي ومحاصرة الفردية.

وتتعدد الرؤى في تمثل النظام العالمي الجديد بعد " انتهاء التاريخ " وافترض توزيع آخر للقوة خارج مدار الثنائية القطبية أو القطبية الواحدة بين " التناوب " على أساس نظام متعدد الأقطاب " تكون القوة فيه موزعة بين عدد كبير جدا من الأمم كما هو الحال في أوربا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.."(17) ويبين "ثنائية قطبية" أخرى تكون أكثر خطأ في توفير الاستقرار كما هو الشأن في أوربا مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية وقيام سلطة كونية ثنائية..

هنا تصيح الليبرالية أفق تحرر الإنسانية في القرن المقبل، لأنها القادرة الوحيدة على ضمان الحرية والمساواة عكس الشيوعية التي سعت إلى توفير المساواة وأهملت الحرية. وبين الفترات الأخيرة للتاريخ وانقضاء التاريخ تثار أسئلة عديدة حسب منظور فوكوياما:

- كيف سيتواصل الصراع بين الديمقراطية الليبرالية وآخر معاقل الانظمة الكليانية في العالم؟

الغربية. و" مع نهاية الحرب الباردة تحركت السياسات الدولية في مرحلتها الغربية وأصبح المركز الرئيس لها هو التفاعل بين الحضارات الغربية وبين الحضارات غير الغربية.." (19)

1_ ما بين الحضارة والثقافة
تحدّ الحضارة بدءاً في منظور هانتغتون بالثقافة. وهي تختلف عنها تبعاً لصلة الجزء، بالكل. فقد تتضمن الحضارة الواحدة عدداً من الثقافات كالحضارة الإسلامية التي تشمل على الثقافة العربية وثقافات أخرى تذكر منها الفارسية والتركية والباكستانية على سبيل المثال لا الحصر.. إن الحضارة. بهذا المعنى. "كيان ثقافي" مختلف عن كيان آخر. إذ تعد الحضارات أهلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى. وهي تتحدد في آن معاً بالعناصر الموضوعية المشتركة مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات.." (20)

بهذا المنظور العام يمكن تمثيل خارطة العالم الجغرافيا/سياسية الراهنة بعد تاريخ شهد قيام إحدى وعشرين حضارة رئيسية له يتنبأ منها إلا سبع أو ثمانين حضارات كبرى تسكن العالم اليوم: "الحضارة الغربية والكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية

فهل يمكن التحرر من هذا الفخ تماماً بانتهاج سبيل أخرى كالبحث في الحضارات؟ الإنسان عدداً

يتغير من المشهد الكوني بتوصيف آخر مختلف إذ ينقلنا صاموئيل هانتغتون من الأيدولوجيا والإقتصاد والتميموس " والحاجة إلى لإعتراف إلى مجال آخر في تمثيل " العالم الجديد". "فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدراً ثقافياً.." (18) فتتردد في الأثناء فكرة الإنتهاء " أي توقف الصراع التي نجدها تمثل حجر الزاوية في كتاب " نهاية التاريخ

والإنسان الأخير" لفرانسيس فوكوياما. غير أن الانقضاء لا يعني هنا بالضرورة انتصار الديمقراطية الليبرالية وإن أشار هانتغتون إلى القوة المتفوقة الغالبة للحضارة الغربية على الحضارات الأخرى في نهاية هذا القرن وحسب التوقع في العقود الأولى من القرن المقبل. فلن يكون القرن المقبل زمناً للتوحيد تحت راية الديمقراطية الليبرالية أو الإرتداد إلى سلطة الشيوعية بتحولها إلى نفوذ مطلق على العالم. ولن تقدر أحكام السوق الكونية. أي تقسيم العمل كونياً. بلغة فوكوياما. على تهديد الإختلاف بين القوميات. لقد كبلت الحروب السالفة تدور داخل مدار الحضارة

بلغة فوكوياما، هدف بعيد المنال لعدد من الأسباب، أولها الفروق الأساسية بين الحضارات تاريخاً وثقافة وتقاليد وديناً على وجه الخصوص، وثانيها التداخل بين الحضارات بعد هجرة الملايين إلى البلدان الأوربية للشغل وتفاقم الاختلافات حد العداء المباشر أحياناً بين المهاجرين والسكان الأصليين، وثالثها رفض انتهاج سبيل التماثل في عملية التحديث الإقتصادي والتغيير الإجتماعي في مختلف بلدان العالم واللوازم بالذين ملأ الفجوات الناتجة عن هيمنة النظام الإقتصادي الواحد، ورابعها تدخل الكيانات غير الغربية لمحاولة تشكيل العالم بمنظور مختلف عن السائد الغربي. وخامسها نزوع الحضارات عادة إلى الحمم عند التواصل بعيداً عن "أنصاف الحلول". فالمرء قد يكون نصف فرنسي أو نصف عربي بل حتى مواطناً في بلدين في الوقت نفسه، لكن من الصعب أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم ..(22). وسادسها ظهور "النزعة الإقليمية الإقتصادية". وفي ذلك دعم للوعي الحضاري كأن تدرك "الجماعة الأوربية" على سبيل المثال المشترك الثقافي استناداً إلى المسيحية ولا تسمح بانضمام تركيا إلى "السوق الأوربية المشتركة" وإلى "الوحدة الإقتصادية" التي

والسلافية الأورتونوكسية والأمريكية اللاتينية وربما الحضارة الأفريقية..

أما الخصام مستقبلاً فإنه سيظهر حاداً على الخطوط الثقافية الفاصلة بين مختلف هذه الحضارات..(21)

على هذا الأساس لن تقتصر التكتلات الإقليمية الكبرى على الاقتصاد والسياسة والقوة العسكرية قصد الدفاع المشترك لتركيز بنائها. الخاص، وإنما تعود فكرة التكتل إلى الجامع الحضاري دون نفي التعدد الثقافي ..

ذلك هو معنى "نحن"، نواة تستقطب عدداً من الدوائر في منظومة موقعية واحدة تحد بالمكان والتاريخ واللغة والدين والتراث الفكري والفني المشترك نسبة إلى مختلف الفنون، والواقع الواصل بين مختلف الكيانات الثقافية داخل المنظومة الحضارية والمستقبل المشترك. أما الآخر فهو تلك الحضارات الأخرى القريبة بمعنى المجاورة والبعيدة سكاناً

ولعلها القريبة فكراً وروحاً.. وكما تتغاير الحضارات بـ "نحن" الخاص المختلف فإنها تتواصل عند محاولة تفكيك "نحن" المتعدد تبعاً لمختلف الأبنية الحضارية..

2- سؤالات الخاص: "نحن" و "الآخر" والمناخات الممكنة للحروب القادمة إن توقف الحروب. "انتهاء التاريخ"

التغالب العسكري. وليس في تقدير هانتغتون.
من المرجح أن ينحصر بل قد يصبح أكثر
خطرا.. (25)

ولعل من أهم الأمثلة اليوم على هذا
الصراع في المناطق الحدودية بين الإسلام
والمسيحية العنف المتكرر بين الصرب والألبان
و"العلاقات الحرجة بين البلغار والأقلية
التركية والمذابح بين الأرمن والأذربيجانيين
والعلاقات المتوترة بين الروس والمسلمين في
آسيا الوسطى... كما يتضح الخصام في
الإتجاه الآخر بين الحضارة الإسلامية والهندية
بما ينشأ بين الحين والآخر من صراع دموي
بين المسلمين والهندوس.. فتقارب الحضارات
وتتباع في ظروف شتى من التواصل والإنفصال
كأن يتعاطف الرأي العام الغربي مع المسلمين
الألبان ضد الصرب مقترفي عديد المذابح في حين
يكتفي بالتعبير عن القلق تجاه هجمات
الكروات على السكان المسلمين.. وهو لا شك
تقارب بين الحضارتين الغربية والإسلامية في
اتجاه وتباعد بين الحضارتين الغربية
والسلافية الأورثودوكسية في الإتجاه الآخر.
وقد ينقلب التقارب إلى تباعد أو العكس حينما
يقدر "نحن" أو يحدث خطرا ما قريبا أو
خلاف ذلك.

إن القرن المقبل، بناء على تمثيل خارطة

قطعت اليوم أشواطاً كبرى في التحقق.

وإذا "العولمة" بهذه القراءة
الحضارية. مجال آخر قادم للخصام: "إن
جهود الغرب لدعم قيمه المتعلقة بالديمقراطية
والليبرالية كقيم عالمية والحفاظ على هيمنة
العسكرية ودعم مصالحه الاقتصادية تولد ردود
فعل مضادة من قبل الحضارات الأخرى: (23)
إلا أن هذا الخصام سيتخذ له شكلين
أساسيين. فهو الصراع داخل المناطق الحدودية
بين الحضارات. وهو التنافس إجمالاً في المناطق
الأخرى بدافع الرغبة في مزيد امتلاك القوة
العسكرية والإقتصادية بمجموع قيم دينية
وسياسية تحل مقام الأيديولوجيات سابقاً.

3- الخطوط الكبرى بين الحضارات
بدأت الخارطة الكونية تتغير منذ توقف الحرب
الباردة فشهدت أوروبا، رغم وحدتها الجغرافية
والإقتصادية. انقساماً بين المسيحية الغربية
والمسيحية الأورثودوكسية والإسلام. وبذلك حل
الستار المخفي للثقافة محل الستار الحديدي
للأيديولوجيات باعتباره أهم خط للتقسيم في
أوروبا. وكما توضح الأحداث في يوغسلافيا فإنه
ليس خط اختلاف فحسب، بل يبدو أحياناً.
خط نزاع دموي أيضاً.. (24) والفواصل بين
الحضارتين الغربية والإسلامية قائم منذ ألف
وثلاثمائة سنة. وقد اتخذ أحياناً عديدة شكل

الكبرى الفاصلة بين الحضارات كالكسليك وروسيا وتركيا على سبيل المثال لا الحصر تعد أوطانا مهددة أيضا اليوم أو غدا بالتفكك.. لذلك يشهد العالم ظهور خارطة جديدة هي الآن بصدد التكون بسبب تهدم أوطان وميلاد أوطان، أو قد تسعى أوطان حدودية مهددة بالإنقسام إلى حلول إقليمية كما هو الشأن بالنسبة إلى تركيا بعد انهيار الإتحاد السوفياتي وتغلق الآفاق نحو الإنضمام إلى المجموعة الأوروبية. فقد تصبح زعيمة سبعة بلدان في تقدير هانتنغتون، تمتد من حدود اليونان إلى حدود الصين.

تزامن إذن الصراعات الحدودية والتنافس بين الحضارات الكبرى كأن يتركز بالخصوص " النزاع بين الغرب والدول الكونفوشيوسية والإسلامية إلى حد كبير(..) على الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية والصواريخ الباليستية وغيرها.."(28) وإذا الخارطة الكونية الجديدة الممكنة مسكونة بقوى عسكرية متقاربة عدة وعددا إذ يشار إلى تنامي القوة العسكرية الصينية وعديد القوى المجاورة لها.

ذلك هو المشهد الكوني في القرن القادم كما يتمثله صامويل هانتنغتون يمكن إجمال ملامحه كالآتي:

الحضارات الكبرى اليوم، سيشهد نزاعات حادة، بل قد تشهد الحضارة الواحدة صراعات في الداخل ولكنها ستظل محدودة في الزمان والمكان عكس المواجهة بين حضارة وأخرى. فالحرب العالمية الأخيرة إذا ما نشبت ستكون في تقدير هانتنغتون "حربا بين حضارات" (26) فلا معنى، إذن لحضارة كونية واحدة لأن "العولة" مشروع يفترض تهديد مختلف الحضارات وصهرها في كيان حضاري واحد، وذلك ما يستحيل حدوثه عاجلا أو آجلا.

لاشك أن السيطرة الاقتصادية والعسكرية واضحة للغرب. إلا أن الأفكار الغربية لا يمكن لها التغلغل داخل الأبنية الذهنية والمجتمعية لبلدان الحضارات الأخرى. "فالأفكار الغربية عن الفردية والليبرالية والدستورية وحقوق الإنسان والمساواة وحكم القانون والديمقراطية والأسواق الحرة وفصل الكنيسة عن الدولة ليس لها، عادة جاذبية كبيرة في الثقافات الإسلامية والكونفوشيوسية واليابانية والهندوسية والبوذية أو الأورثودوكسية.." (27)

4- خارطة العالم الجديد

إن البلدان التي تتركب من شعوب تنتمي إلى حضارات مختلفة مهددة أكثر من ذي قبل بالتقسيم والبلدان الأخرى القائمة على الحدود

للبحث

تتبين لنا، بناء على السابق، أن التفريد "يقابل التجميع" عند إشارة الجدل بين ماركوز وفوكوياما. كما يقابل النفي الإثبات. فينكشف "وجهان متضادان للديمقراطية الليبرالية، بين نقدها في اتجاه والانتصار لها دون قيد أو شرط في الاتجاه الآخر. وتتولد في الأثناء فكرة الحرية، حرية الإنسان في أن يكون فردا بحق الاختيار "وحرية الشعوب في تقرير مصيرها، وحرية الأمم في الوحدة والتقدم. وإذا الديموقراطية الليبرالية في نقد ماركوز، وجه آخر للاستعباد يحد في ظاهر التحليل بالمجتمع الواحد ويمكن أن يتسع نفوذه بالخارطة الكونية. فتساوى الديموقراطية الليبرالية والكلبانية في ممارسة التسلط والتجمع "الرافض لأي تفريد بشككين مختلفين: فرض الإمتثال علنا أو الإيهام بحق الاختيار ولا اختيار.

إلا أن وجهها "للاتفاق يظهر جليا" عند الحديث عن التكنولوجيا إذ لا معنى ولا إمكان للرجوع إلى ما قبل عصرها، فهي الضامنة لممارسة الإنسان سيادته على الطبيعة وهي السبيل المؤدية إلى تاريخ انتهاء الحروب إذا ما توسلت بالأخلاق وتوزعت داخل كتل إقليمية بإنشاء ضرب من التوازن بين مختلف

1- يحل النزاع بين الحضارات محل الأشكال الأيديولوجية المعارف عليها سافا.

2- يتحول الصراع من داخل الحضارة الواحدة (الحضارة الغربية) في سيادة العالم إلى خصام معلن بين الحضارات يتخذ له أشكال التنافس أو الصدام حينما يتعلق الأمر بالحدود المباشرة. ويتردد الوصف بين التسليم بالصراع والقول بالتعايش نتيجة ظهور تشكيلات إقليمية وأقطاب قوى متعادلة تقريبا بعد سيادة القطبين ثم القطبية الواحدة.

3- تتركز سياسة عسكرية كونية خاضعة لقانون التوازن كالحمد من توسع القوة العسكرية للدولة الإسلامية والكونفوشيوسية مع تخفيض القدرات العسكرية الغربية.

4- تستغل الخلافات والنزاعات بين الدول الكونفوشيوسية والإسلامية لضمان التوازن وتأمين المصالح الغربية داخل هذه المواطن وفي العالم بأسره.

إن أهم نتيجة أفصى إليها رسم المشهد الكوني مستقبلا، بمنظور صامويل هانتنتون، ذلك الدحض البين لفكرة "الحضارة العالمية الواحدة" فلن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم يضم حضارات مختلفة ينبغي أن يتعلم كل منها التعايش مع غيره.. (29)

سؤال الحرية والهوية والاختلاف: أفاق أخرى

- القوى يزيل نظام القطبية الثنائية أو الواحدة.
- كائن حر وتكنولوجيا متحررة تكون في خدمة الإنسان إذا تجمعا كان بدء الخروج من النفق.
- الجديد في موفى هذا القرن. وفي العقود الأولى من القرن المقبل؟
- كيف ينتصر لثقافة الحرية؟
- كيف يحقق تقدمه الإقتصادي والإجتماعي؟

وكائن مستعيد بتقيض الحرية أو باسم الحرية ذاتها وتكنولوجيا سجيئة رغبة امتلاك الآخر أو إفنائه، إذا استمر في التواصل كان التوغل في ليل المتاهة.

- كيف ينجز ثورته الثقافية والتكنولوجية؟
- كيف ينجز وحدته الإقليمية؟

الهوامش

(1) "الإنسان ذو البعد الواحد" بيروت: دار الآداب ترجمة جورج طرابيش. ط3. 1988، ص37.

(2) نفسه. ص39.

(3) نفسه. ص44.

(4) نفسه. ص169.

(5) نفسه. ص 2.2-3. 2.

(6) "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"

فرانسيس فوكوياما. ترجمة فؤاد شاهين.

جميل قاسم. رضا الشابي. مراجعة مطاع صفدي. بيروت: مركز الإنماء القومي. 1993.

ص43.

(7) نفسه. ص 43-44.

(8) انظر جدول البلدان الليبرالية الديمقراطية

من 1790 إلى 1990 وتزايد عددها في نهاية

القرن. المرجع نفسه. ص 74-76.

(9) نفسه. ص 91.

وبين الإنسان الأخير "كما تمثلته فوكوياما" والإنسان عددا حسب منظور هانتنغتون للحضارات ينكشف مفهومان للعلوة: علوة التماثل اقتصادا وسياسة وهيمنة عسكرية واشتراكا حضاريا على أساس شعاري تمارس به الحضارة الغربية تسلطها المطلق على مختلف الحضارات. وعلوة التعدد والإختلاف يكون بها التواصل والتعايش والتكامل والتأثر والتأثير والتناوب في ريادة العالم.

وبهذا المنظور الثاني للعلوة تثار أسئلة

"النحن" العربي الإسلامي را هنا:

- بم جد ثقافة وحضارة بعيدا عن المفهوم الساكن للهوية؟

- كيف يحول إرثه الثقافي والحضاري إلى

تراث فاعل في راهن الوجود؟

- كيف يعي موقعه داخل خارطة العالم

- (10) نفسه، ص.95.
- (11) نفسه، ص.98. يذهب فوكوياما إلى القول بتنظيم العمل عوض "تقسيم العمل" والمقصود بهذا التغيير الاصطلاحي "قلب عملية التصنيع باستبدال المهام اليدوية المحضة بمجموعات معقدة تفترض اشتراك المزيد من الذكاء المفهومي.
- (12) الفروق واضحة بين هويس ولوك وهيجل بخصوص الحاجات المادية والروحية، المرجع نفسه، ص 151-172. كذلك الشأن بالنسبة إلى أوجه الاختلاف الدقيقة بين "التيوس" والإعتراف، المرجع نفسه، ص 166-172.
- (13) نفسه، ص.206.
- (14) نفسه، ص.207.
- (15) نفسه، ص.210.
- (16) نفسه، ص.211.
- (17) نفسه، ص.235.
- (18) الصراع بين الحضارات " بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1995، ص.17.
- (19) نفسه، ص.18.
- (20) نفسه، ص.19.
- (21) نفسه.
- (22) نفسه، ص.21.
- (23) نفسه، ص.23.
- (24) نفسه ص.24.
- (25) نفسه، ص.32.
- (26) نفسه، ص.25.
- (27) نفسه، ص.33.
- (28) نفسه ص.38.
- (29) نفسه، ص.41.

تونس والمجتمع المدني

الخلفيات التاريخية والمسؤوليات الحضارية

المجتمع والمدنية - دلالات ومفاهيم (3)

بقلم : عبد الجليل الميساوي

لم يكن مسموحا لها بالظهور والتي وجدت أفضل منبت لها تمارس فيه نشاطها هو الجامعات والمؤسسات التعليمية التي كانت أول باكورات ردود فعلها في المظاهرات الطلابية سنة 1968 واشتد ضغط اليسار واضطرت الدولة في كثير من المواقف والمواجهات إلى سلوك سياسة القمع وهي التي تريد أن تحتفظ لنفسها ولو ظاهرياً بشي . ولو يسير من صورة الدولة الديمقراطية فتفتقت أذهان بعض مسؤوليها على حيلة رأوا فيها وقتذاك الملجأ والمنجى وهي السماح للتيارات الدينية بالتواجد على الساحة والتغاضي عن نشاطها وتحركاتها عساها تكون ترسا يقف في مواجهة التيارات اليسارية التي بدأت تكتسح المؤسسات التعليمية والمهنية وتنتشر على نطاق واسع في صفوف الطلبة والعمال على الخصوص ، وهكذا بدأنا في كتابة شهادة وفاة المجتمع المدني وبدأ العدّ التنازلي لقرب

4- فشل الاشتراكية :

رغم العوامل المشار إليها فقد ظلّ بورقيبة طيلة ثماني أوتسع سنوات يتمتع بشعبية تلقائية عالية حتى جاءت فترة التعاضد وحاول الانتقال بالشعب من مرحلة الملكية الخاصة إلى مرحلة الاشتراكية دون أن يهيء النفوس لتقبل ذلك التحوّل الجذري ، أو يعمل على إعدادها إعداداً جدياً ، فكان ذلك سببا في ظهور أزمات نفسية وإجتماعية وإقتصادية اضطرتّه إلى التراجع عن التجربة بعد فترة لم تتجاوز بضع سنوات ، فكان هذا التراجع مخيبا لآمال ذوي النزعة الاشتراكية الذين علّقوا على التجربة آمالا عريضة في إرساء دعائم مذهبهم الأيديولوجي على صعيد الواقع العملي ، كما كان ممضاً بالنسبة لغيرهم الذين تضرّروا من التجربة كثيرا أو قليلا ، ورأوا أنّهم إنّما كانوا ضحايا التسرّع والإرتجال ، ومن ثمّ توسع نطاق المعارضة التي

اختياراتها بواسطة القوة والإرهاب المادي والمعنوي ذلك النوع من الإرهاب الذي نال حتى نواب الأمة في السلطة التشريعية فكان الفصل 109 من المجلة الانتخابية سيفاً مسلطاً على رأس كلٍّ منهم يمنعه من أدنى مناقشة ، بل ومن التردد في الموافقة فضلاً عن الاعتراض ، إذ يكفي عند ذلك أن يعلن رفضه من الحزب الذي رشّحه ليرفض آلياً من عضوية مجلس الأمة .

والحقيقة أن إلغاء التعددية وإن بدا وكأنه ردّ فعل على مؤامرة ديسمبر 1963 فإنه كانت له أهداف أبعد من ذلك يأتي في مقدّمتها نزع الشرعية عن أي تنظيم سياسي أواجتماعي يعمل خارج إطار الحزب الحاكم ويمكن أن يكون محورياً تلتفّ حوله فيئات من الشعب لمعارضة سياسة [التعاضد] والمنزع الاشتراكي الذي بدأت الدولة في تنفيذه .

ب . التراجعات الدستورية : بعد التراجع عن الخيار الاشتراكي أجريت على الدستور جملة من التنقيحات المتتالية كانت جميعها تهدف إلى إزالة العوائق المانعة من احتكار السلطة وتجعل من مختلف المؤسسات الدستورية مجرد مؤسسات شكلية مهمتها إضفاء الشرعية على سياسة الحكومة وتصرفاتها .

وفي المقابل بدأت روح العداء لكلّ ما هو نظامي تنمو وتزايد وبدأ الحسّ المدني يضرر

عهد العنف والتمرد والعصيان .

وهكذا بدأ التراجع عن قيم المجتمع المدني يجد طريقه إلى سياسة الدولة وإلى سلوك المواطنين على السواء بصورة جلية واضحة منذ سنة 1963 وبأخذ نسقا تصاعديا سريعا في سيره وتناميه :

أ . التراجع عن المسار الديمقراطي : فبعد اكتشاف المحاولة الانقلابية المسماة بمؤامرة ديسمبر 1962 أعلن الرئيس بورقيبة في خطاب 18 جانفي 1963 عن تحجير الأحزاب فألغى بذلك التعددية السياسية وكرّس هيمنة الحزب الواحد وهو إجراء يستتبع آلياً تحجير حرية الفكر ، ويخضع بعث الجمعيات مهما كان نوعها إلى تضحيقات شديدة . ومن ثمّ يمكن القول بأنّه قد وقع التراجع كلياً عن قيم المجتمع المدني لأنّه لا يمكن إقامة مجتمع مدني حديث في غياب الحرية والديمقراطية ، فمع مثل هذا التوجه الجديد الذي سلكته الحكومة التونسية منذ 18 جانفي 1963 سوف تكون القوانين موظفة لصالح السلطة ولصالح هيمنة الحزب الواحد ومن ثمّ فسوف لن تكون محلّ احترام المواطن الذي لا يجد فيها ذاته ولا يرى فيها حماية لمصلحته فيصبح خرق القوانين والطعن في شرعيتها مظهراً من مظاهر النضال ، وتصبح السلطة مضطّرة إلى فرض احترام القوانين وفرض

ويتضاء ل لدى المواطن والمسؤول على السواء ، ولدى الشباب والكهل ، والمرأة والرجل ، والمثقف والأُمّي ، جميعا وأصبحت مخالفة القوانين وتحجّاهل قواعدها وترتيبها موضة سلوكية عامّة ومحلّ رضى مختلف الفيشات الإجتماعية من العامل إلى الموظف ، ومن الطالب إلى التلميذ ، حتى أصبح الإخلاص في أداء الواجب تهمة يزدري صاحبها ويقابل بالاشتمزاز والاستنكار فشعار العامل « الأجر ثابت وهي جابت وإلا لا يجعلها جابت » و « أعطهم على قدّ فلوسهم » وشعار الموظف « مسني ونمّسك » وشعار المسؤول « طفيّ القُصو وخلي الناس تعيش » وشعار المواطن عامة « اغتم من المحاضر لذاته » وشعار الطالب والتلميذ « اللي خدموا ماتوا » ، « وتقرأ وإلا ما تقرأش المستقبل ما ثمّاش » إلى غير ذلك من الشعارات المثبّطة .

وفعلا فقد استبدّ بالناس بأس شديد وأصبحوا يرون الحياة من خلال منظار أسود قاتم السواد ، حتى كادت قيم المجتمع المدني تغيب كلياً ، وكانت الفضائل الإجتماعية والحلال الإنسانية النبيلة تنقلب إلى نقائضها في المجتمع التونسي ، وبدأت الأزمات تتزايد والتوترات تتصاعد تبعاً ، وفقد العمل اعتباره بتوالي العنف فكانت أحداث 1978 وما تلاها من تدخل القوات العسكرية وإعلان

حالة الطوارئ وما عقب ذلك من محاكمات يمكن القول بأنّ المستفيد الأكبر منها هو التيار الإسلامي إذ رجّت هذه المحاكمات بأهمّ عناصر اليسار في السجون وقد كانت التيارات اليسارية هي المسيطرة على التنظيمات النقابية فوقع اسبعاها وإحلال النقابيين المتّصّبين مكانها فوجد التيّار الإسلامي مستنفساً أتاح له فرصة العمل الآمن من المضايقات الجديدة ، ثمّ جاءت أحداث قفصة سنة 1980 لتدخل البلاد في دوامة جديدة بما فيها من اضطرابات نفسية وأمنية ، ومن توترات داخلية وخارجية وضعت الحكومة التونسية والرئيس بورقيبة والشعب التونسي والتنظيمات السياسية أمام امتحان عسير كانت أفضل إجابياته أن رأينا لأول مرة مختلف حركات المعارضة تبعث وفودها إلى الرئيس بورقيبة في نفطة لتعلن ولاءها وتأييدها واستعدادها للدعم والفداء ، فكان من ذلك دليل على إيمان الجميع بأنّ هناك أطراً مشتركة لا يمكن الاختلاف فيها ، وهي سلامة الوطن من الأخطار الخارجية والداخلية ، ولكن لم يمض من الوقت غبىر قليل حتى جاء ت محاكمات الاسلاميين سنة 1981 ففجّرت الأوضاع من جديد حتى أنه ليتمكن القول بأنّ البلاد التونسية والشعب التونسي كانا منذ بداية الثمانيات على فوهة بركان حقيقي لا

التدهور الفظيع الذي آلت إليه الأوضاع في البلاد ، ولئن كان التدهور والاضطراب خلال أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات حالات متقطعة تحدث حيناً آخر ، فإنها أخذت صبغة الاستمرار انطلاقاً من أحداث « الخبز » جانفي 1984 لو يشعر المواطن التونسي بالأمن ولم تسيطر أجهزة الدولة على الوضع طيلة أربع سنوات كاملة رغم المحاكمات ورغم الاعداسات وكادت مكاسب ثلاثين سنة من الاستقلال تنهار وتذهب سدى .

هذه الأوضاع المتردية التي عانتها البلاد التونسية بكثير من العنف والشدة وخاصة من سنة 1978 إلى سنة 1987 كانت كافية لتجعل من تحوّل السابع من نوفمبر 1987 أملاً حقيقياً يتحقق فجأة بعد بأس كاد يستولي على النفوس ليتحوّل إلى قنوط ، فقد أتاح لجميع الأطراف فرصة للتأمل والمراجعة ما كانوا ليظفروا بها لو استمرّ الوضع على ما هو عليه ، واستطاع بعد ذلك وفي وقت قصير أن يحقق جملة من المصالحات التي لا يمكن إقامة مجتمع مدني بدونها ، نكتفي منها بالإشارة إلى :

- المصالحة الوطنية بما تحمله هذه العبارة من معاني الوفاق والتفاهم .
- المصالحة بين الهوية الوطنية التونسية وبين الهوية العربية الإسلامية بحيث لم بعد هناك

خيار للحكومة فيه إلا بين أمرين اثنين فإمّا الاستسلام للفوضى والتسيّب وإمّا اعتماد سياسة القوة والقهر لإرجاع الأمور إلى نصابها ، ومن ثمّ بدأت سياسات التصعيد بين الحكومة واليسار تارة وبينها وبين التيارات الدينية تارة أخرى ، فنالت المحاكمات الإطارات النقابية في مختلف مستوياتها في مناسبتين على الأقل انتهت بتعويض الشرعيين بالمنصّبين في المرة الأولى وب « الشرفاء » في المرة الثانية وتناولت الطلبة ففتحت لهم أبواب صحراء « رجم معتوق » والخدمة العسكرية الإجبارية وشملت مختلف التيارات الفكرية والسياسية اليسارية منها واليمينية على السواء وبدأ العنف هو المزعّم المهيمن على سياسة الدولة وسلوك المواطن جميعاً ، وبلغ الغليان أوجه وقمّته بدحول التيارات الدينية المعركة وشروعها في الإعداد لافتكاك الحكم باعتماد سياسة تعجيز الدولة بشر الفوضى والتسرّد على النظم والقوانين ، والطعن في شرعية كلّ التراتيب والقيم والقواعد الدستورية والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتّى أصبح المجتمع التونسي على أبواب أتون الحرب الأهلية أو الرجوع إلى قيم القرون الوسطى ، وإن إعلان حالة الطوارئ ثلاث مرّات في أقلّ من خمس سنوات لدليل على

* قانون الجمعيات 1 تنقيح 2 أوت 1988

[.

* مجلة الصحافة 1 تنقيح 2 أوت 1988

[.

* المجلة الانتخابية .

* المجتمع المدني مسؤوليات حضارية :

يقوم المجتمع المدني الحديث على أركان

أربعة لابدّ من توفرها جميعا ولا سبيل لإقامة

مجتمع مدنيّ في غيابها أو في غياب بعضها

:

1 - ديمقراطية في الحكم

2 - حسن مدنيّ لدى الأفراد والجماعات

3 - عقلانية في التفكير

4 - حياة جمعياتية وتنظيمات ومؤسسات

نشيطّة

وباعتماد هذه المقاييس الأربعة يمكن

الوقوف على جدية الرهانات التي رسمتها

السياسة التونسية بعد نوفمبر 1987 والتي

تعكس دون أي لبس توجهها واضحا

نحو مجتمع مدنيّ حقيقيّ تكون فيه السيادة

العليا للقانون والمؤسسات الدستورية أولا

وأخيرا ، ويؤطر فيه العمل السياسي بمواثيق

وقوانين تلتزم بها جميع الأطراف السياسية ،

ويستند فيه النشاط الاجتماعي والثقافي

والاقتصادي والسياسي إلى رعاية تنظيمات

ومؤسسات وهيئات شعبية وطنية ومن ثمّ

مجال لتصور شي . من التناقض بين

الانتماين وليس بالإمكان أن يلقي أحدهما

الأخر .

. المصالحة بين الإنسان التونسي وقيم المجتمع

المدني حيث بدا الحرص واضحا على إعادة

الاعتبار للتعددية وإعطاء القانون والمؤسسات

الدستورية صلاحياتها وتأكّدت الجدّة في

احترام استقلالية المنظمات الوطنية الاجتماعية

منها والثقافية والشبابية ، ونقحت القوانين

وفي مقدّماتها القانون الدستوري لتجريدها من

كلّ ما يعيق الحريات أو يمسّ بمكاسب المجتمع

المدني وبذلك أمكن تفسير جملة من الأطر

القانونية الكفيلة بضمان وسلامة قيم المجتمع

المدني وهي :

* الدستور التونسي الذي وقع تنقيحه في

25 جويلية 1988 وتمّ تجريده من كلّ

المضامين والفصول التي كان فيها تكريس

لاحتكار السلطة ، ومن الاستثناءات التي

أفرغت الدستور من محتواه إلى حدّ بعيد .

* بيان السابع من نوفمبر

* قانون الأحزاب وكيفية مافيه من التزام

باحترام الشرعية والدفاع عن الهوية العربية

الإسلامية ، وحقوق الإنسان ، ونبذ العنف

والتطرف والعنصرية ، واجتئاب المسّ بالأمن

القومي والنظام العام وحقوق وحرية الغير .

* الميثاق الوطني

يمكن تعرّف جملة من الرهانات الحضارية الموجهة للسياسة التونسية . هذه الرهانات التي يأتي في مقدمتها :

1 - رهان على ترسيخ مبدأ سيادة القانون والمؤسسات الدستورية

2 - رهان على حيوية التنظيمات والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والشبابية وعلى قيامها بدورها في تربية المجتمع وتأطير أفراده .

3 - رهان على وعي الشعب بحقوقه وواجباته وعلى صدق ولائه للوطن وللهوية التونسية بمختلف أبعادها العربية والإسلامية والمغاربية والأفريقية والمتوسطة والانسانية .

4 - رهان على إيمان التونسيين بالعقل وبعن التاريخ وقوانين التطور لمسايرة الواقع والتخلص من مختلف الجاذبيات وفي مقدمتها التخلص مناجاذبية إلى الورا .

5 - رهان على إحلال تونس مكان الريادة في العالم العربي والإسلامي في مجال احترام حقوق الإنسان والتمسك بقيم المجتمع المدني .

*. خصوصيات المجتمع المدني :

يتجاوز مفهوم المجتمع المدني مفهوم المجتمع السياسي لسبب أساسي وفارق جوهري هو اعتبار العمل الجمعياتي محورا مركزيا يستند إليه وجود المجتمع المدني ،

والجمعيات والتنظيمات الشعبية المحلية والمؤسسات الخاصة تنهض بدور فاعل وأساسي في تربية المجتمع وتشقيف أفراده وتأطير جماعاته . هذا الدور الذي لا يمكن الإطمئنان على سلامته بين يدي الأحزاب السياسية التي قد تهمله أو تقصر في أدائه على الوجه الأكمل مراعاة منها لضغوط يهملها أن تتجاوزها ولو مقابل بعض التضحيات المهمة ومن ثمّ فالمجتمع المدني مجتمع مؤسساني منظم يقوم على وجود نسيج واسع متلاحم من التنظيمات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والمهنية والاقتصادية بحيث يكون أبرز مميزات الاعتماد على الذات وتقليص دور الدولة والحدّ من تدخلاتها في إسداء الخدمات لمواطنيها ليكون دورها دور الحكم ، والموجه ، والموقر للأطر القانونية الضامنة لسلامة العلاقات والمعاملات ، أمّا الخدمات وتلبية المشاغل العامة والخاصة والتماس الحلول للمشاكل به الجمعيات والتنظيمات والمؤسسات المدنية الخاصة وشبه العمومية .

ومن ثمّ فإنّ هذه الخصوصية تلزم الأفراد والجماعات والجمعيات والمؤسسات والتنظيمات المؤيدة ، والمعارضة ، والمستقلة ، جميعا بالسلوكات والممارسات التالية :

1 . الكفّ عن تحميل الدولة وحدها مسؤولية ما

تعجّ به السياسة الداخلية من مشاغل اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية ... إلخ

2. التزام الحوار بصورة دائمة ومستمرة على مختلف المستويات ولمواجهة أية مصاعب أو أزمات يمكن أن تجذّ في المجال السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي أو الإعلامي أو الاقتصادي أو غير ذلك .

3. قبول تنوّع الرؤى والأنظار التي لا يوحّد بينها إلا ما انطبع عليه أفراد المجتمع من قيم المرونة والتسامح والنسبية واحترام الرأي المخالف في الإثراء .

4. اعتماد مقاييس الصواب والخطأ واستبعاد مقاييس الحق والباطل ، وذلك لما في مقاييس الخطأ والصواب من نسبية وقابلية للمراجعة والمناقشة وما في مقاييس الحق والباطل من ثبوتية ورفض للتغيير ومن تأثيم ومقاطعة واستبعاد للحوار .

5. الاتفاق على جملة من الشواهد لا يجوز الاختلاف حولها وفي مقدمتها سلامة الوطن وشرعية القوانين والمؤسسات المنبثقة عنها واحترام قرار الأغلبية .

6. ضمان حقوق الأقليات في التعبير عن آرائها وتصوّراتها بالنقد والمعارضة السياسية والفكرية .

7. احترام حقوق الإنسان واعتبار الانسان

والذات البشرية أبرز قيم المجتمعات الحديثة المتحضرة ، وأنه لا يمكن تصوّر مجتمع مدني تنتهك فيه أبسط حقوق الإنسان إلا لفائدة حقوق الإنسان نفسها .

8. مشاركة أفراد المجتمع في الحياة العامة مشاركة جديدة وفاعلة تخرّج بها من الهامشية والسلبية .

9. تحقيق توازن واع بين مختلف الإلتزامات المكوّنة للذاتية الوطنية حتى يكون مجتمعنا التونسي مجتمعاً إسلامياً في روحه عربياً في انتمائه الحضاري .

10. التمسك بالوفاق الوطني والسلم الاجتماعي ورفض العنف بجميع أشكاله المادي منها واللفظي .

11. رفض التبعية والتقليد والاغتراب عن الواقع ونبد المثالية والنموجية .

12. الإيمان بأن لا وجود لمسلّمات متعالية ، ولا لسلوك فردي أو جماعي مقدّس ، ولا لتشريعات اجتماعية واقتصادية فوقية ، ولا لتنظيم سياسي مقدّس يتعالى على النقد والمراجعة والتعديل .

13. قبول الانفتاح على الآخر في إطار الأخذ والعطاء والتبادل المتكافئ .

14. حماية المحيط : إن المجتمع المدني ليس مجرد علاقات سليمة بين الإنسان والإنسان وبين الفرد والجماعة وبين المجتمع والسلطة

وإنما لا بدّ أنتوازبها سلامة البيئة والمحيط الطبيعي ولا تحترم فيه التراتيب البلدية للتجمعات السكنية .

*. المجتمع المدني ومسؤوليات الفرد :

لئن كان المجتمع المدني مجتمعا مؤسستيا فإنّ الحسّ المدني لدى الأفراد هو ضمانة الأساسيّة إذ لا يتصور وجود قيم مدينة تمارس على أرض الواقع في غياب الحسّ المدني ، وليس الحسّ المدني إلا شعور الفرد بمسؤولياته العامّة والخاصّة التي يمكن الإكتفاء منها بالمسؤوليات التالية :

1 . عمق الشعور بالانتماء الوطني والتجانس المتمثل في التمسكّ بالهوية والذاتية الوطنية .

2 . المساواة التي تنتفي معها الفوارق بين الفئات وبين الجهات ويختفي معها التمييز بين الجنسين فلا يمكن إثبات الحسّ المدني لأفراد ومواطنين مايزالون يمارسون التفكير القائم على تكريس دونية المرأة في الأسرة والمجتمع أو على التمايز الجهويّ أو القبليّ .

3 . الانضباط للقوانين والإقرار بشرعيّة المؤسسات الدستورية والوطنية والمسؤولين عليها .

4 . نبذ العنف بنوعيه المادي واللفظي واعتناق مبادئ الحوار المن ، والتسامح والتفاهم .

5 . الإقرار بحق الدولة في ممارسة سلطاتها

وفق التراتيب القانونية ، وبواجب المواطن في تأييدها وعدم مقاومتها أو مغالطتها .

6 . احترام المكاسب الوطنية والممتلكات ذات المصلحة العامّة .

7 . المساهمة بالرأي الحرّ وبالجهد المخلص وأداء الواجبات الوطنية تلقائيا دون ضغط أو إكراه بدفع الأداء ، ات وحضور الانتخابات وإتقان العمل والإخلاص للمهنة .

8 . غلبة النزوع إلى الوحدة على النزوع إلى التشتت .

9 . انتصار الإرادة العامة على الإرادة الخاصة وسيطرة الروح الجماعية على الروح الفردية .

10 . الانضباط الإداري والمهني واحترام التسلسل الهرمي البيروقراطي .

11 . الوعي العقلي القائم على الواقعية والتحرر من المثالية والاعترا ب والإقرار بسلطة العلم والتقنية واحترام نتائج العلم والكفاءات المهنية والتقنية .

12 . احترام الذات البشرية مجردة من جميع مضافها الاجتماعي والثقافي والسياسي والجنسي .

*. المجتمع المدني ومسؤوليات الدولة :

يقول سعد الدين ابراهيم في علاقة الدولة بالمجتمع المدني ومسؤولياتها فيه : « يعتبر منظرو المجتمع المدني فكرة المواطنة والمشاركة السياسية من خلال الإنتخابات مصاحبات

- 4 - توفير المؤسسات الدستورية الكفيلة بضمان دستورية القوانين المعمول بها
- 5 - اعتبار مسؤولي الدولة مواطنين مساوين لغيرهم في الحقوق والواجبات لا يتمتعون بأي استثناء في تطبيق القانون عليهم مثلما يطبق على غيرهم .
- 6 - ضمان تكافؤ الفرص في الحياة وفي تحمل المسؤوليات والتزام نتائج التعليم والكفاءة العلمية والمهنية لتكون هي المقياس الأول والأخير في الترقية وإسناد المسؤوليات الإدارية والتقنية واستبعاد الولاءات الشخصية والحزبية والجهوية .
- 7 - حماية حقوق الإنسان واحترام الذات البشرية
- 8 - تحقيق نوع من التوازن الفعلي بين حماية الحقوق والإلزام بأداء الواجبات باعتبار أن الدولة التي تتحمس لضمان أداء الواجبات وتتغاضى أو تتساهل في حماية الحقوق هي دولة استبدادية ولا يمكن قيام مجتمع مدني في مناخ استبدادي ، وإن الدولة التي تتشدد في حماية الحقوق وتتساهل في أداء الواجبات هي دولة ضعيفة تبالغ في ترضية جماهير وتنظيمات لا يوجهها حس مدني سليم ولا تحكم إلا إلى التمرد والفوضى ولا يمكن إقامة مجتمع مدني في مناخ من التسبب واللامبالاة.

ضرورة للدولة الحديثة فالمساواة القانونية بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات هي الوجه الآخر والمكمل لفكرة الدولة كشخصية معنوية عامة وفي غياب إمكانية الحصول على إجماع فإن الأغلبية هي التي تحدّد الصالح العام الذي يفترض أن تجسده الدولة إما من خلال انتخابات يمثلها للاضطلاع بأعباء السلطة ، وإما عن طريق الاستفتاء ، فالأمة هي مصدر السلطات ولا تكون كذلك إلا على أساس الديمقراطية .

فالمجتمع المدني إذن لا يمكن تصوّره إلا في إطار دولة كيان سياسي ووجود قانوني وسيادة معترف بها في نطاق رقعة ترابية ذات حدود معلومة تعيش عليها مجموعة بشرية تجمع بين أفرادها جملة من الروابط الموحدة ، وعلى ذلك فإن للدولة مسؤولياتها في تأسيس قيم المجتمع المدني والمحافظة عليها ومن هذه المسؤوليات :

- 1 - الفصل بين السلط وتوزيعها وضمان استقلالية مؤسساتها
- 2 - توفير الأطر القانونية اللازمة لتأسيس قيم المجتمع المدني وحمايتها
- 3 - منع التجاوزات القانونية مهما كانت كانت بساطتها والتزام مختلف أجهزة الدولة بمؤسساتها باحترام التراتيب القانونية التي هي هم مكلفون بتنفيذها وتطبيقها .

*. نحن والمجتمع المدني :

قد يكون من المنافاة لطبيعة المجتمع المدني ومن الخروج عن مقتضيات الحسّ المدني أن نحاول الانتهاء إلى إصدار أحكام جازمة واتخاذ مواقف تصنيفية قاطعة ، ولذلك نكتفي من هذا الموضوع بلفت الأنظار إلى بعض المؤشرات التي قد تفيد القارئ وتعينه على تحديد مكان المجتمع التونسي في مسيرته نحو المجتمع المدني الحديث . ومن هذه المؤشرات :

1 . مدى توقّر الحدّ الضروري من النموّ الإقتصادي والإجتماعي وهذا يعني أن قرب أي مجتمع بشري من بلوغ مستوى المجتمع المدني أو بعده عنه إنّما يقاس بمدى ما حققه من تعميم التعليم وترقية مستوياته وتحديث مناهجه وطرق عمله وممارسته ، ومدى نجاحه في التغلب على البطالة والفقر فكلّ خطوة تقطع في سبيل تثقيف المجتمع وترقية مستواه الذهني واستبعاد شبح الجهل والأمية والدغمانية عنه هي خطوة نحو إرساء قواعد المجتمع المدني وكل خطوة تقطع نحو تحقيق الكفاية في الاقتصاد العائلي والوطني ونحو توسيع آفاق البادرة الشخصية الحرة في مجال الشغل على حساب العمل المأجور ، ونحو اعتماد الرقابة الذاتية والتسيير الذاتي على حساب رقابة الأجهزة الرسمية والدواليب

التنظيمية هي خطوة إلى الأمام في طريق التقدّم نحو مجتمع الحداثة والمدنية .

2 . مدى توقّر حرية التنافس السياسي والفكري والاقتصادي ، فبقدر ما يكون للتعددية السياسية والاجتماعية والثقافية الفكرية من حظوظ ، وبقدر ما يكون للتنافس الاقتصادي من حرية ومن جدوى بقدر ما تتوقّر الأرضية الصالحة لنموّ المجتمع المدني وازدهارها ، على أنّ هذه التعددية لا يجوز أن تكون هي الغاية في ذاتها وإنّما هي وسيلة لما تحمله من قيم ومبادئ لا تفي بها التعدديات الشكلية ، وشكلية التعددية إنّما تحتملها واحدة من ثلاث ظواهر متى غلبت على الممارسات السياسية في البلاد :

أ . تهيمش المعارضة والتنظيمات وتغيب دورها في الحياة الوطنية .

ب . اغتراب التعددية عن معطيات واقعها الوطني بأن تعتنق بضض التيارات المعارضة الأيديولوجيا النظرية المستوردة وتكرّس التبعية والولاءات غير الوطنية فتكون مجرد قنوات لتدخل قوى خارجية في سياسة البلاد الداخلية واختياراتها الوطنية .

ج . أن لا تكون التعددية غاية تطلب لذاتها ، والمعارضة من أجل المعارضة لغاية الظهور والبروز أو لغاية مضايقة النظام القائم وتعجيزه وتركيعه وهو ما يعبر عن الإصطلاح

العامي بسياسة « وضع العصا في العجلة » .

3 - مدى قدرة الأطراف المكونة للمجتمع المدني على الارتقاء بعلاقاتها إلى مستوى التعامل التسلمي القوائم على أساس الموضوعية والواقعية بعيدا عن الحيال وعن الإنجھال وعن التنظيرات الادبولوجية المستوردة والمثالية الدغمائية .

4 - مدى دعم المشاركة الشعبية في ترسيخ قيم المجتمع المدني والدفاع عن مقوماته عبر المنظمات والجمعيةات والمؤسسات النشيطة الفاعلة ، فلا وجود لمجتمع مدني في غياب حياة جمعيية واعية بدورها ومسؤولياتها .

وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى أن حياتنا الجمعيية في تونس ما تزال دون المأمول إنها ما تزال محدودة الجدوى إلى حد بعيد ، ضرورة أن انتماء المنخرطين في هذه الجمعيية أو تلك إنما يدفعهم إليه ولاؤهم لمصالحهم الخاصة ، فعاقل الرغبة في الإنتفاع ما يزال له التفوق الواضح على التفكير الحضاري والشعور بالمسؤولية . وبعبارة أوضح فإن التوازن بين الحقوق والواجبات الذي هو أساس الحس المدني ما يزال بعض الإختلال ويحتاج إلى شيء غير قليل من الجهد والوقت لتحقيقه .

5 - مدى توفر الأطر القانونية : إن الحس المدني وقيم المجتمع المدني جميعها تنبع من احتكام الأفراد أو الجماعات إلى قناعاتهم الذاتية أو إلى ميولهم ورغباتهم الشخصية وتفرض أن يكون هناك أطر قانونية ومؤسسات دستورية يمكن الاحتكام إليها عند الاختلاف أو التنازع ، وما يلاحظ من حرص الدولة على تقليص ظلال الاحتكار والأحادية في هذه المؤسسات الدستورية وما يرى من سعيها الدائب المستمر إلى ضمان التنوع التمثيلي سواء في تركيبة المجلس الاقتصادي والاجتماعي أو في المجلس الدستوري أو في اللجان والمجالس العليا ذات الصبغة الاستشارية القطاعية المختصة ، وأخيرا ما نراه من اتوجه الإرادة السياسية إلى محاولة ادخال التعددية السياسية في صلب السلطة التشريعية، كل ذلك يوقر جملة من المؤشرات تؤكد توفر قدر مهم من الأطر القانونية والمؤسسات الدستورية الكفيلة بضمان مناخ سياسي ملائم لإقامة مجتمع مدني قوامه المصالحة والوفاق الوطني ، قد يوفر مستقبلا الشروط الضرورية للمنافسة السياسية المتحضرة ويفتح الطريق للوجدان الشعبي والوطني لتقبل الممارسات المدنية والالتزام بقيم المجتمع المدني تلقائيا ، ومنها إلى إزدهار حس مدني واسع الإنتشار ، شامل وحقيقي .

ويرسّخ في الأذهان والسلوك والممارسات الفردية اليومية على مرّ السنين إن لم نقل على مرّ أجال ، وهذا قانون اجتماعي يفرض علينا أن نتدرّج في أناة نحو مجتمع الحداثة والمدنية فمجتمعنا - رضينا أم كرهنا - مازال يعجّ بتيارات وقوى تعتنق مبادئ وقيم لا يمكن أن تتعايش مع قيم المجتمع المدني إن لم تكن معادية للحداثة والمدنية من أصلها ، وما تزال القابلية للانتكاس حقيقة قائمة وإن الإفراط في التفاؤل قد يفتح من أبواب الرجعية والانتكاس ما يعسر سدّه ويكمن بعض التيارات المعادية للمجتمع المدني من السيطرة وإرباك المسيرة ، خصوصا وأن نسبة عالية من مواطنينا ما تزال عند عتبة الوعي والحسن المدني ، أمّا النقص في المستوى الثقافي ، أو لغلبة الفكر الدغماني عليها ، أو لما تعنيه من بطالة وما يعوزها من ضرورات العيش وكل هذه العوامل قد تجعل قطاعا عريضا من الناس مهينين نفسانيا وعقليا للاتقياد بسهولة إلى اللأطروحات الدوغمائية واتّباع المواقف والتوجّهات المعادية لقيم المجتمع المدني بدون وعي حقيقي .

6 - مدى المساواة بين الجنسين : من المسلّمات التي لا تناقش أنّه لا يمكن إقامة مجتمع مدني في غياب المساواة التامة بين النساء والرجال تلك المساواة التي لئن ثمت فعلا في تونس على

في ظلّ هذه الشروط العملية ومع وجود هذه الأطر القانونية والعمل على إثرائها وتعزيزها يوما بعد يوم لم يعد بالإمكان الخوف على مسيرة المجتمع المدني في تونس من أي تعطيل قد يأتيها من قبل الدولة والإرادة السياسية الرسمية ، لكن يبقى هل بالإمكان اتهام هذه الإرادة السياسية بالتباطؤ فيها وهو ما يحلو للبعض أن يدعيه ويحاول إقامة الحجج والبراهين عليه ؟

ومن المستحسن أن نجيب عن هذا التساؤل بطريقة غير مباشرة وعن طريق نوع من المقارنة والمقايضة القائمة على أساس أن المريض الذي طال مرضه واختلّ نشاط بعض أجهزته الحيوية أو كلّها لا يمكن أن يدعوه إلى التسرع بالعودة إلى نشاطه الطبيعي بمجرد نمائمه للشفاء إلا الحمقى ، أمّا الحكماء والبصراء العارفون فإنّهم ينصحونه بالتدرّج المنتظم في نسق تصاعدي وثيد وغير متسرّع لأنّ التعجّل سوف يفضي به إلى انتكاس لا ريب فيه ، وهذا هو حالنا وحال مجتمعات العالم الثالث ، عاشت أجيالنا على قيم وممارسات ليس من السهل اقتلاعها بمجرد قرارات سياسية وإدارية توفر الأطر القانونية اللازمة ، لأنّ هذه الأطر القانونية لا بدّ أن يقابلها حسن مدنيّ في نفوس الأفراد والجماعات وهذا الحسن إنّما ينمّي في النفوس

مستوى القوانين والممارسات الرسمية فإنها ما تزال إلى اليوم تستند في وجودها إلى الإرادة السياسية وحراسة أجهزة الدولة ولم تترسخ بعد في الوعي الثقافي الشعبي الذي مازال يكرّس دونية المرأة وتبعية الرجل ، وسبب ذلك أنّ الشعب التونسي جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والإسلامية وواحد من شعوبها الكثيرة المتعددة تلك التي فصلت بينها حدود ترابية معترف بها من الوجهة القانونية والدولية فأنّه لا يمكن أن توجد بينها حدود فكرية ووجدانية تمنع من التأثير والتأثير ، فاللغة واحدة ، والوجدان الديني واحد ، والأمية أخذت في التقلص في كافة الأجزاء العربية والإسلامية وفي تونس على وجه الخصوص ، والأفكار والقيم والعواطف والوجدانات تنتقل بيسر وسهولة من مكان إلى مكان تحملها الكتب والمؤلفات والصحف والمجلات ومخلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، وقد أدركت مختلف الأدبيولوجيات الرائجة في العالم العربي والإسلامي هذه الحقيقة منذ وقت طويل وتأكد كلّ منها أنّه لا أمان له ولا سلامة من مزاحمة غيره له في عقر داره فأقامت كلّ تلك الأدبيولوجيات سياستها على تصدير الأفكار لتضمن لنفسها الانتشار على حساب الأثقاء والأجوار لا فرق في ذلك بين أدبيولوجيات

رسمية تمارسها سلط سياسية معترف بها وبين أدبيولوجيات تمارسها تيارات ومذاهب معترف بها في مكان وغير معترف بها في أماكن غيره أو ليس معترف بها أي مكان ... هذا الوضع يجعل من العسير على أي شعب عربي مسلم أن يقلع نحو الحداثة بفردته وسط هذا الحضم المتلاطم الزاخر بمحاولات التدخل في شؤونه وعرقلة مسيرته ومن ثمّ فلئن أمكن لتونس أن تكون سبّاقة إلى توفير الأطر القانونية الضامنة للمضي قدما في مسار الديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني ، فأنّه ليس بإمكانها أن تمنع مواطنيها من التعرّض لمختلف التأثيرات الوافدة من هنا وهناك ، وإنّما سوف تكون بحاجة إلى مزيد من الجهد والوقت لتحصل في الوجدان الشعبي على نتائج تكون في مستوى ما وفّرت من قوانين وضمانات لسلامة مسيرة التحديث والمجتمع المدني ، إننا ما نزال نسمع أصواتا ترتفع هنا وهناك تندّد بالمساواة بين الجنسين وتعتبرها ضربا من العدوان على أحكام الشريعة ، بل ما أكثر الذين سلّموا بالأمر الواقع في بلادنا وقبلوا المساواة بين المرأة والرجل ولكنهم لوجودوا الفرصة ما تردّدوا في التراجع والتكوض على أعقابهم .

7. أمّا أكبر علامة استفهام وأعظم شبهة تثار حول جدية مسار الديمقراطية والمجتمع المدني

المسلم عقيدته « والارتباط بالأرض والولا . للوطن أهم مقومات الديمقراطية وأؤكد شروط المجتمع المدني ، فإذا فقد الارتباط بالأرض فقدت معه كل مقومات المجتمع المدني التي تجتمع كلها في مظهر واحد هو القدرة على بناء حضارة ذات خصوصيات محلية متميزة من خلال تعبير تلك الرقعة من الأرض واستثمار خيراتها لفائدة الإنسان والإنسانية .

وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن إدماج التيارات الدينية في ممارسات المجتمع المدني إلا على أساس احترامها لمكاسب المجتمع المدني التي لا مجال للترافع فيها وهي :

1 . الإقرار بأن السيادة للشعب إقرارا لا يبقى معه مجال للتكرس ديكتاتورية مقدسة يستبد فيها الإنسان بحكم أخيه الإنسان باسم « الحاكمية لله » فيفضي ذلك بالناس إلى عودة الحكم الشيوقراطي الكنسي .

2 . الإقرار بأن الأحكام والتشريعات إنما تستمد شرعيتها من قدرتها على حفظ الحقوق ، فلكل حكم أمكن بواسطته حفظ الحق فهو شرعي ولو كان مستمداً من غير القرآن والسنة ولو كان مقتبسا من غير المسلمين ، وكل حكم تجاوزه الزمن ولم يعد وافيًا بحفظ الحقوق فهو حكم فاقد لكل شرعية ، عري عن أيتمشروعية ولو كان واردا في صريح

في تونس فهي تلك التي تطرحها العلاقة بين السلطوالتيارات الدينية فقد يطيب للبعض أن يستغل أوضاع هذه العلاقة ليؤكد غياب الديمقراطية وقيم المجتمع المدني ، والحقيقة أن هذه التيارات على اختلاف أسماها تلتقي عند مبدأ أساسي هو الدعوى إلى إقامة دولة دينية مع ما في قيام نظام ديني منهية على الفكر والحياة تفضي حتما إلى تجميد مناهج الحياة ، تثبيت القيم والأحكام والتشريعات ورفض التغيير جملة وتفصيلا وهذه الخصوصيات جميعها مناقضة لطبيعة الديمقراطية ومعادية لقيم المجتمع المدني ولحقوق الإنسان وذلك نتيجة للأسباب التالية :

أ . أن الفكر الديني غير الفكر الإسلامي وهو فكر دغماني مثالي والمثالية الدغمائية سلب للاختيار ومنع لرغبة التغيير ، وإذا كانت حرية الاختيار والرغبة في التغيير من أبرز شروط ومطالب الديمقراطية وألزم خصوصيات المجتمع المدني وأؤكد حقوق الإنسان فإن إقصاء النظم المعادية لهما يكون من أوجب ممارسات المجتمع المدني وأؤكد قيمه .

ب . إن المجتمع الديني مجتمع كلياني شمولي يغيب فيه الارتباط بالأرض وينعدم فيه الولاء الوطني ليصبح الولاء هلاميا رجراجا غير قابل للتحديد مادام شعاره « وطن

السياسية لا يكونان كافيين وحدهما في غياب دور واضح للأفراد والتنظيمات ، بل إن هذين وذئناك جميعا لا يكفيان إلا في إطار منالعتقالية الموضوعية الفاعالة ، وان التبعية والاعترااب ليمثلان أمضى المعاول الهادمة لقيم المجتمع المدني سواء كان هذا الاعترااب اغتراابا في الماضي وتبعية للسلف بالاستناد إلى مأثوراتهم ومحاولة فرض حلولهم وأحكامهم على أوضاع واقع غير واقعههم ، أو كان اغتراابا في المكان يكرس التبعية للآخر المتقدم واقتباس قيمه وممارساته ومحاولة إنباتها في غير منابتها .

وفي الختام نقول جازمين إن المجتمع المدني وعي وحرية وقدرة على التفاعل مع أوضاع الواقع والتأقلم معها دون إسقاط أو تعسف .

القرآن ، بحيث لا يكون هناك مجال للدعوة إلى التنازل عن تشريعاتنا القانونية المعمول بها أو عن بعضها لفائدة العودة إلى أحكام الماضي تحت ستار المطالبة باقامة أحكام الشريعة .

3 - المساواة الكاملة بين المرأة والرجل والتمسك بمآجاء به مجلة الأحوال الشخصية باعتباره يمثل الحد الأدنى من ضمانات الحماية لحقوق النساء وتحقيق المساواة بين الجنسين في الأسرة والمجتمع .

وعموما فإن هذه إضاماتصغيرة من المؤشرات سقناها للتأكيد على أننا ما نزال في بداية الطريق المؤدي إلى المجتمع المدني الحديث وأننا ما نزال في حاجة إلى جهود لترسيخ الحس المدني لدى الأفراد ولتنشيط الجمعيات والتنظيمات والمؤسسات حتى تكون أكثر فاعلية فإن الإطار القانوني والإرادة

المطر

شعر : شارل فان لاربارق
ترجمة : آمال سفضة

بقدر ما تستطيع أن تمطر
ثم تأتي الشمس التي تمسح
بشعرها الذهبي
أقدام المطر

على بسط من الزهور الرنانة
من الفجر إلى المساء
ومن المساء إلى الفجر
تمطر ومازالت تمطر

جدلية القلق والجنون

عند أبي القاسم الشابي - طائر الشعر المفرد -

بقلم : صدام فهد الأسدي
- العراق -

لجوب القفار فكأنما رعته بعدما رعى نبتها
رعته الفياضي بعدما كان حقية
رعاها وماء الروض ينهل ساكبه
وإذا كان هذا الشاعر العبقري قد اطلع
على ألوان الفكر في عصره الذهبي - عصر
العمالة - فلا يفاجئنا أبداً بجدليته ، ولكن
كيف استطاع شاعر حديث لم يعبر الثلاثين
من عمره أن يأتي بتلك الجدلية وقد تفوق في
مداركها مقسومة على ضدين هما القلق
والجنون ، إنه الشاعر العربي التونسي الرائد
أبو القاسم الشابي الذي يخطئ من يحسب
عمره بالسنين ، فهو عمر محسوب بالعطاء ،
فهاهنا لي إنسانا لم يحفظ بيته الخالد :
إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

وقد درس المهتمون بالأدب حياته وآثاره
، منهم الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ،
والأستاذ محمد سمير نجيب ، والأستاذ محمد
الحليوي والسيدة ريتا عوض ، وفي العراق
درس الشابي ضمن رسالة ماجستير عام

منذ أن قال هيرقليطس « هيهات أن يسبح
الإنسان في النهر مرتين » بدأ الفكر يرضي
حبل غاربه على سفينة الزمن التي طوت
المراحل المستمرة في حركتها وشكلت تناقضا
فيما بينها ، موت وحياة ، زهر وشوك ،
شباب وشيخوخة . صحر وغيم ، وهكذا
سمت الالفاظ تقترب من نظائرها لتعطي
دلالات متغايرة فبرزت الجدلية في الحياة
والممارسة وكانت في العلوم المتنوعة ، وفيها
جدل الصلْب الذي يعنى بولع النفس الانسانية
بالصور الجميلة وتجاوزها إلى التأمل ، وقد
خصبت أرض لغتنا العربية بتلك التأملات
الرائعة ، وكان للشعراء الكبار دور في رصد
تلك المعاني ، فعندما نقرأ جدلية أبي تمام
نقف منبهرين أمام تلك الرؤى :

فأني رأيت الشمس زيدت محبة

إلى الناس إذ ليت عليهم برمذ

وحين يصف جملا يرعى في الضيافي ،
يصور سمته وضعفه معا ، فالسمن نتيجة
الرعي ، والضعف نتيجة الجهد الذي يبذله

وكذلك قوله :

فما حبَّ العيش إلا الفناء

ولأزانه غير خوف اللهود

إنَّها نظرة معرَّبة في فلسفة معروفة ترتبط
بجدلية البقاء والرحيل وكلاهما متتابعان .

إنَّ التشاؤم والحزن العظيم اللذان يكمنان
خلف تلك الجدلية كان مبعثها المرض
(العبقريَّة) الذي عبر عنه وفهمه الشابي
(القلب) قائلا :

**آه يا قلبي أنت مبعث آلامي ومستورع
أحزاني**

إنَّ الألم شكَّل نسبة مهيمنة في معجمه
الشعري وما انتظم خلف الالم من ألفاظ
(الدمع ، الشقاء ، الأثين ، الصمت ، الحرمان
، البلوى ، الحسرة)

وهذا يدل على أنَّ الشاعر يحمل حزنا كبيرا
يكتشف الالم حياته بأقصى حالات القلق ،
فشعره جاء طافحا بالشك والقلق واليأس
والعزلة والغربة والحنين حتى ليكاد من يقرأ
أحزانه المحضه أن يحنَّ ، بل حتى عناوين
قصائده فاحت برائحة الحزن مثال ذلك (
الكآبة المجهولة السامة ، أغنية الاحزان ،
الأشواك الثائنه ، شكوى اليتيم ، دموع الالم
، نشيد الأسي ، الزنبقة الداوية) كلها قلق
وسواد وموت وفناء

كيف استطاع الشاعر من كل هذه

1979 من قبل الباحث لطيف محمد حسن ،
زد على ذلك ديوان الشاعر يتقدم الأستاذ
محمد الأمين الشابي ، ولم يلتفت أحد منهم
إلى جدليته الرائعة مثال ذلك :
ولولا شقاء الحياة الأليم

لما أدرك الناس معنى العود
ولعل الشاعر يفصح عن تعادلية لا بد وأن
تتكافأ وتترزين ، فلولا الشقاء لما عرف الناس
طعم السعادة ، وقد سبقه كثيرون قائلين :
(لا بد دون الشهد من ابر النحل)
(ومن طلب العلا سهر الليالي)

وقوله :
وكم قلت صبرا يا فؤاد ألا تكف عن النحيب
فاذا تجلجت الحياة تبددت شعل اللهب
هكذا زرع الشابي جدلية رائدة تستحق
الانتباه ، كلما تجلجت الحياة فإنَّ شعلة التحدي
ستضعف أمامها وهنا يلتفت أنظارنا إلى القوة
فهو المعادل الموضوعي لها . وإن الحياة
بدورها الحزينة مهما قت فلن تطفى في داخله
شعلة الأثين والحزن ، ولعلها ضارة نافعة .
وكذلك قوله الرائع :

ومن كان جبار المطامع لم يزل
يلاقني عن الدنيا ضراوة قشعم
فالشاعر يعيش صراع مرضه ويتغلب عليه
كلما وجد ضراوة قشعم ، فلن تتوقف تلك
الارادة وهو يعاني من الضعف الجدي الذي
صار قوة روحية تحدد مناقضها (القشعم)

وهم مستحقون :

وينو الأرض كالقروود وما

أضيع عطر الورود بين القروود !!

ورأى الشابي هيكل الحياة منظم فلا يحق

للكافر أن يدخل في منبعه القديس وهنا دلالة

دينية تنم عن فكر مضى متوهج

فابعدوا الكافر الخبيث عن الهيكل

إن الخبيث منع رجس

إن الذي يتفحص شعر الشابي ويتمعن ورقة

يرى أهرامه الثلاثة التي قامت عليها جدليته ،

أولها (قلبه) الذي كان سبب نجاح شعره

وسرعة موته ، فقد فاجأه المرض صغيرا

بالقلب ، حتى جعل منه شاعرا مبدعا ، ذلك

القلب الذي لم يترك صفة إلا نسبها إليه ،

حتى صار قبره وليس قلبه :

فإن قلبي قبر مظلم قبرت

فيه الأماني فما عادت تناغيني

حتى وصف قلبه ب (شقي مظلم ،

مخضّل الدموع ، أناته وأهية ، مغمور الجراح

، عش فارغ ، كهف مظلم ، قبر أسود ، عود

بلا أوتار) وكأننا أمام مشرحة في غرفة

العمليات مافيها إلا القلوب وإذا ما أجبره

الوزن قال (الفؤاد)

ففؤادي وهو مغمور الجراح

بتباريح الحياة الباكية

وهرمه الثاني (الموت) وبهذا لا يفاجئنا

الصدّات أن يصنع شعرا رائعا ، أن يبلور

جدلية في الهوس والجنون وهو القائل بعظمة

لسانه « لقد ضقت ذرعا بالحياة ولا أخالني

اليوم إلا ذاهبا إلى القبر أو في سبيل الجنون

» وقد صدق الشاعر بقوله هذا ، فقد رحل

وظل جنون عبقريته يفيض حكما خالدة مع

الزمن إليك منها :

قال :

الويل في الدنيا التي في شرعها

فأس الطعام كريشة الرسام

هكذا مبادلته الثنائية دائما ترصد

صورتين (الفأس والريشة) والموجّه

البنياني (الراصد) وأحد هو الشرع ، الحكم

، القانون ... إلخ

وهذه صورة واقعية في مدارك حياتنا التي لا

تفرق بين التبر والتراب وقال أيضا :

فما بالك ترضى بذل القيود

وتحني لمن كبّلك الجباه !!

وفي تلك الحكمة المتحركة ، ترى المخاطب

المقيد والمحنى معا فرحا مستأنسا فرحا عمّن

كبّله ، وهذا هو الاستسلام ، وجدلية الخوف

وفرض القوة على العاجز .

إن الشابي حكيم شخّص للواقع خطاياه

ووضع النقاط على الحروف ولكنه عاش في

زمن لا يفهم مداركه ، لذا ضاعت عبقريته أمام

جيله سدى ، وهو ينظر إليهم ويصفهم بالقردة

تلك الأهرامات الثلاثة رسمت عبقريتها
وهي تدق على ذلك الشاب البرئ الذي يصغي
لقلبه إذا تكلم ولروحه إذا ترغمت ولنفسه إذا
تأوهت في سكون الظلام « الشاعر الذي يبيع
كل ماديات الحياة لسمع اغنية واحدة ، كان
جنون العبقرية المخبوءة تحت طيات جسد
نحيف ترفع لافتات ست هي :

1. الإكتئاب :

أما اكتنابي فلربما سكنت
روحي وتبقى إلى الأبد

2. العزلة :

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
سعيدا بوحدي وانفرادي

3. اليأس :

إن ما بين أزاهير الفلاة الداجمة
شاعرا أيامه حزن الحياة الشاهبة

4. الغربة :

في غربة روحية ملعونة
اشواقها تقضي عطاشا هيما

5. الشقاء :

فجأت بروح شقي تجسّ
لقد عذبتة الليالي صنوف

6. الجراح :

يا إله الوجود هذي جراح
في فؤادي تشكو إليك الدواهي
هذه اللاقتات تدق على الجسد النحيف

الشاعر وقد سبقه الشعراء في نظراتهم
المتفحصة للموت ، والشابي ماترك مفردة
تحسّ بالموت إلا وذكرها (للحدّة الرّمس ،
القبر ، الضريح ، الموت ، المرقد ، المضجع)
وصور الموت صورتين ، الموت المفزع المارد
الجبار الذي يلوي رقاب الانسانية
والموت كالمارد الجبار منتصب

في الأرض يخطف من قد خانه الأمل
والصورة الجميلة للموت فرآه مريحا يدعو
الناس إليه وكأنهم في سفرة :

إلى الموت فالنفس روح جميل

يرفرف من فوق تلك الغيوم

حتى جمع بين المتناقضين قائلا :

أرقب الموت والحياة وأصغي

لحديث الآزال والآباد

وهرمه الثالث (الشعر) وهو قلقه

الذي بنى عليه جدليته

(يا شعر انت ملاكي وطارفي وتلاذي)

(يا شعر أنت تشيد أمواج الخضم الساحرة ،

يا شعر كأس خمره عجيب)

حتّى غدا الشعر عنده (فم الشعور ،

بخيب القلب ، الشادي المفرد ، تشيد الزهور

، صرفة الروح ، إنه سيف الشاعر في المواقف

:

قف لا تدعني وحيدا رلا أدعك تنادي

فهل وجدت حاميا يناط دون نجاد

هل وصل الشابي إلى عالمه المثالي ، إلى
أوتوبيا المكان المرتفع ، وبالرغم من تلك الذات
الصابرة كان ضغط الحياة عليها أكثر ، فما
استطاع الشاعران يستثمر راحته ويرتاح من
القلق ، والمأزق فما به يبحث عنالمعرفة
المضاعة !! يريد أن يكون حلاج عصره ، فظن
به وجوديا .

إنّ الشابي يتبعثر بين الواقع والمثالي
وكان مزدوجا في الوعي وقد أشار الدكتور
عبد السلام المسديّ إلى تلك الضغوط
والتناقضات وأكد ذلك الأستاذ محمد الحليوي
« إن اعتراف الشاعر بمعدل نوبات قلق

مستمرة يخشى أن يتعرض بعدها للجنون »
وهكذا طفحت أفكاره بجدليّة دلت على
خصب فكره ، وموهبته ولوعاش لأعطى عطاء
ثرا ، وما بيده من حيلة أن يهرب من القدر
المكتوب والأجل المحتوم وهويدي أن السرور
والحزن ضائعان :

ولا وجدت اكتشابي

ولا وجدت سروري

ومسك الحتام : يحق لنا القول بأنّ الأجيال
تتحقق في شخوص فالألف الأولى كان
فيلسوفها المعري بجدليّة الموت وفي الألف
الثانية كان الشابي .

رحم الله الشابي شاعرا وإنسانا ظلّ على
لسان الخلود ، وطوى لمدينة الشمس تونس

والقلب الجريح والسل المدمر فهو الذي كشف
سرّ عبقريته بنفسه قائلا :

عبقري الأسى تعذبه الدنيا

وتشجيه ساحرات الملاهي

حتى صار متمردا على نفسه

وتشيدن في خرائب روحي

وعلى الناس الذين أحبوا عبقريته :

كان ظنّي أن النفوس كبار

فوجدت النفوس شيئا حقيرا

وانتهى قائلا لمن خاطبهم بالأمس (إذا
الشعب يوما)

والشعب بينهما قطيع ضائع

دنياه دنيا مأكّل وشراب

فهل بقي للشاعر شيء حتى الحرية التي
أنشد إليها (أنا شاعر والشاعر يجب أن
يكون حرا) .

خذ الحياة كما جاءتك مبتسما

في كهفها الغارأوفي كهفها العدم

وارقص على الورد والأشواك متنتا

غنت لك الطيرأو غنت لك الحم

هذه ثنائيات جدلية الشابي تفصح عن أمر

خطير فأين يريد الشاعر أن يكون :

وخلال القصود أنات حزن

وتبلك الأكواخ الضناء بؤس

والشباب الحبيب شيخوخة تسعى

إلى الموت في طريق كؤود

الفكر فمات فيها وعاش بها خالدا يسقي
الأرض اليباب إبداعا .

* منذ وقت طويل تمّ الحسم في خصوص مرض
الشابّي، هو مرض بالقلب لا بالسّل. (الاتحاف) .

التي أنجبت هذا العملاق العربي الرائد
وبعد، كل هذه المجدلية أتراها جنونا أم
عبقريّة ، إنه فن شعري نبع من رجل مريض
فكيف لو كان معا في لقد وهبه الله نعمة

ومضات

شعر : برهان البرزلي الكردي
ترجمة : أنور حسن موسى

أنا راحل
أخذني معي جعبتي الشعريّة
فكلّ أزهار الشّعر الشمسيّة
ستغرب لرحيلي...!
نسي حوته
ويروم أنيحرر
مدينة..

جرة من قبيلات
على كتف مدينه
تروي ظمأ مدينة كاملة
وها أنت ..
أفنيّت عمرك
والجرة ما زالت على كتفيك
وعطشانا مازلت

الأدب والتجربة الفلسطينية

بقلم : محمد العائش القوتي

استجابة لها فهو الطبيعة البنائيق والتداولية ،
ولأنّ نعظم النصوص التي توقّرت لنا من أدب
التجربة الفلسطينية نصوص شعرية كتبت
داخل السجون أو بين نيران المعارك ، فلنستمع
إلى هذه الأبيات الشعرية الفلسطينية الكبير
محمود درويش :

وطني ليس حقيقة وأنا لست مسافر
إنما أنا العاشق والأرض حقيقه

ومن التنازاج الأخرى الملحمية المحلية
ملحمة « خالد أبو خالد » اجتياز الليالي
الألف يبدأ بخطوة واحدة ، بتصدّي فيها للعدو
الصهيوني ويدافع عن الأمة العربية

واقف ... واقف

عنقرة

وجم الفرس

والرؤم

كان وحيدا ، والغبار

الذي تصاعد في الشرق والغرب

كان غبار الهزيمة ... تلو الهزيمة ...

ويقول أبو نضال في إحدى دراساته حول

حينما ننظر في الإنتاج الأدبي الذي أتيح
لنا من الأدب الفلسطيني وهو مجموعات
شعرية وقصصية وروائية ودراسات أدبية نجد
أن طبيعة الظروف التي أبدع فيها هذا الإنتاج
الأدبي قد تركت بصماتها بوضوح على
الشكل والمحتوى ، فهذه الأشكال الأدبية
الجديدة من التعبير الأدبي تظهر بين المقاتلين
في المعارك ، وقامرس بينهم فعالية كبيرة ،
مقتترنة بالطابع الاجتماعي للأدب والوظيفة
الإنسانية له تجعله يتشكّل في كلّ منطقة
بالصورة التي يصبح معها أكثر فعالية في
الواقع الذي يصدر عنه . كما تؤكّد في الوقت
نفسه الطبيعة الجدلية له . فقد تركت الوسيلة
التي ينتقل عبرها الأدب بصماتها على شكل
هذا الأدب وأسلوبه ... إنّه أدب كتب ليقرأ
ويحفظ معا ... ليبحث المقاتلين على مواصلة
القتال ... والإمسك بالبنادق والخروج لمواصلة
مسيرة كلّ ابن استشهد أو أب أسر أو زوج
صرعته القنابل ، أمّا الأكثر الألوان تلاؤما
مع طبيعة التجربة الفلسطينية ، وأسرعها

الشعر الفلسطيني المقاتل عن مفهوم المحلية :
« إن المحلية تبعدها المعاصر التاريخي هي
مدخل أساسي للشعر العظيم »
أما في الشعر العالمي فيقول :

« إن الشاعر يملك صوتا خاصا ومميزا يعبر فيه
عن نفسه وعن ظروف المنطقة والمرحلة التي
يعيشها... فإن للشعر العالمي النضالي
المقاتل يدخل إلى ميدان الشعر العظيم... في
العالم. مثلا طاغور كان شاعرا هادئا أصيلا
ولهذا فطاغور شاعر عالمي ناضح حكمت
شاعر تركي يعبر عن نفسه وعن تركيا قبل أن
يصبح شاعرا إنسانيا عظيما... »

ثم نجد الشاعر الفلسطيني أحمد دحروج
يتحدث عن الفلسطيني الذي يقاتل وحده
ويعت بعد أن يتخلى عنه الجميع غير أنه
يرفض الموت والصمت :

أدركني بالكلام الصباح
ولكنني لا أريد السكوت
فعندي الكلام المباح
وعندي السلاح
وفي خلدي أن يرى على رأسي رمع
وأن الجياح الرماح...

ومن القصائد التي تعبر عن المعاناة
وتخلق الشعر العظيم تجربة أيلول الأسود
« سبتمبر » في عمان الأردن والتي كتب
وشارك فيها كثير من الشعراء الفلسطينيين
منهم الشاعرة الفلسطينية مي صايغ والتي
تقول في إحدى قصائدها :

عبرتك قلعة شماء لم تسجد
وكان الموت في الطرقات
... ما لوفاء لدى الأطفال

موجودا بلا حلبة... كما الأفرز والاسفلت
والقطع التي تهوي من الجدران عند القصف
وهذه الأبيات كتبها الشاعرة الفلسطينية
مي صايغ في أيلول الأسود « سبتمبر » وكان
يفصلها عنهم الرصاص والموت...

وكما يبدو لنا أن شعراء هذه القصائد
والملاحمات الشعرية الفلسطينية قد أدركوا
واقع الحرب العنيفة يتخذ الوعي مكان المخيلة
ومن هنا كان وعي الشاعر الفلسطيني في
هذا النوع من القصائد الشعرية فوق المخيلة
... واستطاع الشاعر الفلسطيني كما قال
هوفمان : « ... أن يضع أداة حساسة وأن
يخلق نوعا من الكتابات الأدبية والشعرية
يلتم نوعا من الحرب والثورة لتكسب أي نوع
من المجد . »

القصة القصيرة في جنوب العراق

. خطوط عامة للمشهد القصصي في مدينة الناصرية .

بقلم : ياسر عبد الصاحب البراك

العراق

الناصرية فيما بعد (يوتوبيا) يصعب الوصول إليها ، وكان من أبرز ابداعات هذه المدينة الحضور الواضح على مستوى القصة القصيرة حيث كانت ابداعات الكاتب عبد الرحمن مجيد الربيعي أهم الإنجازات القصصية التي حققتها المدينة فأخرجتها من محليتها إلى الوطن العربي ككل بل إلى العالم حيث أصبح أدب الربيعي أنموذجاً لدراسة الأدب العربي في الجامعات الأوروبية وتواصل مع هذه الإبداعات نقدهم قراءة موجزة للمشهد القصصي في هذه المدينة خلال عقد التسعينات الماضي .

لم تشهد القصة القصيرة في مدينة الناصرية منذ نشوئها مطلع الخمسينيات هذا التطور والحضور في أساليب الكتابة وحجم النصوص التي راحت تنهال على الصفحات الثقافية المحلية مثلما شهد عقد التسعينيات الذي أفرز مشهداً قصصياً كبيراً في تطلعاته ورؤاه ولعل أهم ما يميّز هذا المشهد هو سعة الرؤية لدى القصاصين الشباب الذين راحوا يؤسسون خطاباتهم القصصية على أنقاض الجهود

الناصرية مدينة في جنوب العراق تغفو على امتداد نهر الفرات العظيم وتبعد عن العاصمة بغداد حوالي 360 كيلومتر فيه نشأت أولى الحضارات البشرية (حضارة السومريين) وعلى أديمها تعلم الإنسان أبجدية الكتابة حيث كانت (المسمارية) أولى الكتابات التي عرفت فيها البشرية وكانت (أور) أحد أهم المدن السومرية فيها ظهر الشعر والأدب وعلى ألواحها كتبت ملحمة كلكامش العظيمة وبعد آلاف السنين من اندثار حضارة السومريين تأسست على أنقاضها مدينة حديثة عام 1769 أسسها العثمانيون وأطلقوا عليها اسم (الناصرية) تكريماً للشيخ ناصر السعدون شيخ عشائر المنتفك التي كانت تمثل طليعة المقاومة الشعبية ضد الاحتلالين العثماني والإنجليزي لأنه كان متعاوناً مع العثمانيين في تهذئة العشائر العربية ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الناصرية رحماً للمبدعين في الشعر والقصة والمسرح والفن التشكيلي والسياسة فأنجبت أسماء كثيرة سرعان ما غادروها لتصبح

على متابعة المنجز القصصي ليس في الناصرية فحسب بل في عموم العراق بحكم إقامته في بغداد .

وقد توفرت للقصة القصيرة منافذ مهمة للترويج والظهور في الناصرية ، لم تكن متوفرة في العقود الماضية مثل تأسيس اتحاد الأدباء عام 1992 الذي سبقه نشاطات منتدى الأدباء ، الملغى ، إضافة إلى رابطة القصصيين الشباب التابعة لمجلس شباب ذي قار والتي تأسست عام 1994 ، فقد لعبت دورا كبيرا في تنشيط المشهد القصصي سواء من خلال إقامة الأمسيات القصصية أو توفير فرص النشر في الصحف والمجلات العربية من خلال علاقات شخصية مع أدباء يقيمون خارج العراق أو إقامة المنتقيات والمسابقات القصصية وغيرها من النشاطات ، كما وفرت بعض المطبوعات التي صدرت في الناصرية فرصة لوضع النص القصصي أمام القارئ مثل نشرة (الرابطة) التي تصدرها رابطة الشعراء العرب في مجلس شباب ذي قار حيث وفرت خلال ثلاث سنوات من صدورها فرصة للعديد من القصصيين لإظهار نصوصهم القصصية من أجل التواصل مع المنجز القصصي وقد بدأ ظهور نشرة (الرابطة) عام 1998 ، كما كان لصدور مجلة (أور 2000) عام 1998 بأعدادها السبعة عن اتحاد الأدباء فرع ذي قار ، الأثر الكبير في الإهتمام بالنص القصصي ولكن

القصصية التي قرأنا بواكبرها في السبعينيات والثمانينات حيث ذلك الإرث الكبير من تقنيات السرد القصصي التي تراكمت بفعل عوامل تاريخية وسياسية معروفة ، ولعل أول إشكالية يقع فيها المتابع للمشهد القصصي في الناصرية هي غياب النقاد المتخصصين الذين يواكبون حركة هذا المشهد وصيرورته ، وإذا كان علينا أن لا نغفل حق أحد من الذين راحوا يتابعون المشهد القصصي نقديا فأننا نشير إلى الأستاذة أحمد الباقري وداود سلمان الشويلي وعبد الهادي والي وفلاح نوري وإبراهيم سبتي الذين كتبوا بعض المتابعات في النقد القصصي وبعضهم نشر عدة مقالات ، إلا أن هؤلاء لا يمكن عدّهم نقاد قصة متخصصين بسبب انشغالهم الأدبية والفنية الأخرى بحيث لا يمثل نقد الخطاب القصصي لديهم هاجسا أساسا يسعون لتطويره واجترار مناهج نقدية للكتابة في النقد القصصي وتأثير سمات المشهد القصصي في مدينة الناصرية ، ولذلك فإن كل ما كتبوه لا يعدو أن يكون مجرد انطباعات نقدية تفرضها شروط الانتماء للمؤسسات الثقافية كاتحاد الأدباء مثلا من خلال الأمسيات الأدبية التي تقام لغرض تغطية البرامج الثقافية لهذه المؤسسات ، ونستطيع أن نستثني من هذا التعميم القاص والناقد جاسم عاصي الذي ثابر خلال عقد التسعينات

والدارسين امكانية دراسة المنجز القصصي في مدينة الناصرية وخاصة طلبة الدراسات العليا ، ولاشك أن صدور أنطولوجيا قصصية لقصاصي الناصرية بأجيالهم المختلفة يمكن له أن يسهم في سد الفراغ الكبير في هذا المجال ، ويمكن لإتحاد الأدباء أن يتبنى مثل هذا المشروع أو أن يقوم باصدار مجاميع قصصية مشتركة أوالمساعدة في إصدار كتابها على نفقتهم الخاصة ، وقد شهدت التسعينات صدور مجاميع قصصية عديدة منها : مجموعة (مدينة الأحرار) للقصاص ماجد كاظم علي و (الحرث في الكلمات) للقصاص كاظم صمود الحصيني عن رابطة القصصيين الشباب وأصدر علي لفته سعيد ثلاث مجاميع قصصية كان آخرها مجموعة (بيت اللعنة) التي فازت بجائزة الدولة التشجيعية للإبداع عام 1999 وللقصاص محمد سلطان صدرت مجموعته (مايشبه الأثر) عنسلسلة ضد الحصار الثقافي التي تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد ، وأصدر أيضا هيثم محسن الجاسم مجموعته (عودة طائر الفجر) ويعتمد صدور هذه المجاميع القصصية على ما يسمى حديثا ب (ثقافة الاستنساخ) حيث يقوم القاص بطبع نسخة واحدة من مجموعته بواسطة الكمبيوتر ثم (يستنسخ) هذه المجموعة حسب قدرته المالية ليوزع عددا محدودا منها قد لا يتعدى (200 نسخة) ، وهذا يعني أن القاص يخسر

خلال سبعة أعداد لم نقرأ نقدا قصصيا واحدا ، باستثناء ما كتبه القاص محمد خضير حول قصص نعيم عبد مهلهل ، وكنا نأمل أن تخصص المجلة عددا للقصّة القصيرة مثلما خصصت عددا للشعر إلا أن توقف صدور المجلة بسبب مزاجية القائمين عليها وعدم التزام السياقات العلمية والصحيحة في التعامل الحضاري مع هيئة تحريرها أو الذين يكتبون فيها ، كلها حالت دون أن تستمر في الصدور ، كما ساهمت الصحف المحلية والمجلات الأدبية في بغداد بالإهتمام بالنص القصصي الذي يكتبه قصاصو المدينة ، فقد كان للملتقيات القصصية التي يقيمها اتحاد الأدباء / المركز العام الأثر الأكبر في إقامة الحوار الإبداعي بين قصاصي الناصرية والآخرين من المحافظات الأخرى ، إلا أن ما يؤخذ على هذه الملتقيات أنها لا توجه الدعوة إلا إلى ثلاثة أو أربعة أسماء ، في كل عام يتكررون مع كل ملتقى بينما لايقبل كتاب القصّة المتمرسون في الناصرية عن عشرين قاصّا ، وأنه لمن الحيف أن يقوم ثلاثة كتاب أو أربعة بالغاء ملامح جيل قصصي كامل قد يكون . فيما لو احتكنا للنقد . هذا الجيل أكثرانشغالا بالقصة من أولئك الكتاب الذين يروجون لفكرة عقم المشهد القصصي في الناصرية ، وأنه لمن المؤسف أن لايتوفّر أرشيف قصصي في اتحاد الأدباء ، يوفّر للباحثين

الايديولوجية للخطاب وعدم الاهتمام بتقنيات السرد الحديثة التي منحت الخطاب القصصي امكانيات التأويل المتعدد واقتُرحت قارئها الخاص بها ، وقد يرتقي هذا الخطاب أحيانا في محاولة للتجريب الرؤيوي في النص من خلال محاكاته للمنجز القصصي الستيني ، إلا أنه بصورة عامة لا يمكن أن يصنّف إلا ضمن مقولات القصة التقليدية التي لازالت تستهوي القارئ العادي من خلال قدرة القاص على الاهتمام بالمثن الحكائي والخطاب الفكري الذي يكون محصلة له .

2. الخطاب القصصي الجديد :

وتتركز حيشات هذا الخطاب لدى كُتّاب القصة الجدد الذين يحاولون كسر طوق القصة التقليدية من خلال إقتراح تقنيات سردية جديدة ، منظور تبني مغاير لما هو سائد في المشهد القصصي ، وعادة ما يكون هذا الخطاب عرضة لعدم التواصل مع القارئ لأنه يحتاج إلى قارئ من نوع خاص يمتلك حساسية جمالية عالية وذائقة قصصية رصينة تؤهله لفك شيفرات الخطاب القصصي الذي يؤسس وعيه بناء على مقترحات معرفية يفترض بالقارئ أنه قد وصل إليها ، خاصة في استخدام اللغة الشعرية الإيحائية ذات الوقع الغرائبي .

3. الخطاب القصصي التعموي :

ولا يخرج هذا الخطاب عن آليات خطاب الحرب الدعائي الذي هيمن على القصة القصيرة في

مسألتي أساسيتين في كل كتاب يطبعه على نفقته ، الأولى : انعدام المورد المادي ، والثانية : محدودية التوزيع ، مما يضع النص القصصي في أيدي متخصصين فقط من كُتّاب قصة ونقاد ودون أن تتوفر فرصة للقارئ العام لقراءته والإطلاع عليه ، وهذه أحد اشكاليات التواصل بين النص القصصي وقارئه .

إنّ الكتابات القصصية التي قرأناها لكل من القصاصين : علي عبد النبي الزيدي و ابراهيم سبتي وحسن عبد الرزاق وهيثم محسن وعلي السباعي ووجدان عبد العزيز وكاظم حمود الحصري وحسن البصام الذين مازالوا يقيمون في الناصرية ، والكتابات الأخرى للقصّاصين علي لفته سعيد ومحمد سلطان وجابر عبد العال هاجروا إلى بغداد والقصّاصين محمد الكاظم وحيدر عودة وعبد الأمير الوليد وحامد المسفر الذين هاجروا خارج العراق ، والكتّاب الذين مازالوا في أوّل الشوط كمحمد رسن وصادق كريم وفاضل عباس الموسري وعقيل الواجدي ، كل هذه الكتابات مجتمعة تشكل عافية المشهد القصصي في الناصرية ، ونستطيع أن نصنّف اتجاهاات القصة في هذا المشهد على ضوء المقولات الآتية :

1. الخطاب القصصي التقليدي :

ويتميّز هذا الخطاب باستسلامه لخطاب القصة الخمسينية حيث ذلك الاهتمام بالوظيف

أمريكية لها أسسها الحضارية في مجتمعاتها تلك بينما نجدتها منقطعة تماما عن الواقع الحضاري لقارئها عندنا .

5. الخطاب القصصي الغرائبي :

يؤسس هذا الخطاب نفسه على مرجعيات تاريخية وميثولوجية مستمدة من حضارات العراق الأولى وخاصة سومر وبابل وأشور ويحاول خلق علاقة غرائبية بين واقع القاص ومرجعيات الخطاب من خلال فعل الأذابة الذي يمارسه القاص على سلطتي الزمان والمكان في النص بحيث يتماهى الواقع الآتي للقاص مع الواقع الماضي لرموز النص ومرجعياته وعادة ما يلجأ القاص إلى استخدام تقنيات سردية متداخلة بحيث يصعب متابعة المتن السردى إلا بمشقة ، وأحيانا لا يتحقق فعل الاستجابة لدى القارئ بسبب انتفاء المرجع بالنسبة له وعدم معرفته به ، فتصبح رموز النص ومرجعياته حكرا على ثقافة القاص وحده ، وعموما فإن هذا الخطاب يشكل فعلا انهزاميا تجاه الواقع مما يدفع بالقاص إلى التخفي وراء أقنعة تاريخية وميثولوجية .

6. الخطاب القصصي الإغترابي :

هذا الخطاب لا يمت إلى واقع القارئ بصلة بل هو نسخة كاريونية في خطابات أوروبية وأمريكية لاتينية تلهث وراء ما يسمى بالعالمية وعادة ما يأتي هذا الخطاب نتيجة الاطلاع

الثمانينات وبداية التسعينات كنتيجة حتمية لحربين طاحنتين وحصار اقتصادي شرس ، وهو عادة يستسلم للمهيمن التعبوي فتصبح القصة خطابا تسجيليا لا يتعدى حدود الكتابة الصحفية التي تعتمد على اللغة التقريرية والشخصيات المطالبة للواقع ، وعادة ماتكون مثل هذه الخطابات ، خطابات آتية لا تمنح القارئ إلا التأثير الآتي والمباشر ، وهذا النمط من الخطابات القصصية لا يترك أثرا فعالا في بنية المنجز القصصي لأنه أصلا لا ينتمي إليه ، بل إلى المنظومة الاعلامية التي تقتضيها ظروف التعبئة العامة ضد الأخطار المحيطة بالبلد .

4. الخطاب القصصي الشكلي :

وعادة ما يقع هذا الخطاب تحت بابفة (التجريب في القصة) ولكنه في حقيقة الأمر لا يمت إلى التجريب بصلة لأنه لا يبحث إلا عن مغايرات شكلية هدفها الاستعراض المعرفي ليس إلا ، ومثل هذه الخطابات تبقى وليدة فهم متجيبها دون أن تتعدى ذلك إلى تكوين قارئ خاص بها ، حتى لو أعلنت القطيعة البنيوية مع الخطابات القصصية التي تجالها ، ولعل كتاب هذه الخطابات عادة ما يميلون إلى الإعلان الصارخ عن نصوصهم من خلال اعتماد (كليشاهات) بنيوية عادة ماتكون مقتبسة من مرجعيات أوروبية أو

المفرط على الأدب العالمي بلغته الإنجليزية الحية أو عن طريق ممارسة الترجمة للنص الأجنبي ولذلك نجد أن أجواء هذا الخطاب لا تختلف عن أجواء الخطابات الأجنبية ، كرم الشخصيات وعلاقاتها الاجتماعية وطرق تعاملها ، وطبائعها وصفاتها ، وعادة ما يعبر هذا الخطاب عن استلاب ثقافي يعيشه القاص يشعر فيه بالغربة المكانية دون أن يدفع به هذا الاستلاب إلى الهجرة نحو العوالم التي يكتب عنها ، ولذلك فإنّ القارئ لهذا الخطاب عادة ما ينسى اسم مؤلفه ويتماهى مع أحداث النصّ ليكرّس عقده تفوق الآخر / الغربي في نفسه .

هذه هي تقريبا المقولات الأساسية التي يعمل عليها الخطاب القصصي التسعينيني في الناصرية مع ملاحظة مهمة أننا نضيف إلى أسماء القصّاصين الذين ذكرناهم، جهود الأجيال القصصية الأخرى التي لازالت متواصلة في الكتابة ضمن هذا المشهد مثل جيل الثمانينيات المتمثل بالقصاصين زيدان حمود ونعيم عبد مهلهل وخضير الزبيدي وداود سلمان الشويلي، وجيل السبعينيات المتمثل بالقصاصين عبد الهادي والي وماجد كاظم علي وجيل الستينيات المتمثل بالقصاصين محسن الخفاجي وأحمد الباقري وجاسم عاصي وهؤلاء كلهم يشكلون عطاءات القصة القصيرة في الناصرية . ولعلّ اللافت للنظر هو بروز حركة ترجمة قوية للقصة القصيرة في الناصرية يقودها مجموعة من المترجمين الذين يترجمون عن الإنجليزية وهم : محسن الخفاجي وأحمد الباقري وكريم غانم وأباد حسن وأمير دوشي وعمران موسى وفاضل عباس الموسري وعقيل كاظم وعبد الكريم عيسى ومحمد باجي وعبد الصالح عيد ولطفي طاهر ولطيف شريف ، وقد نشر أغلب هؤلاء ترجماتهم في الصحف والمجلات المحلية مما منح المشهد القصص تنوعا وثراء من خلال الاطلاع على منجزات القصة العالمية ، نصوصا ودراسات ، ولعلّ أندر مترجم بين هؤلاء هو فاضل عباس الموسري الذي يؤلف القصة القصيرة بالإنجليزية ونشر عددا من قصصه في جريدة (بغداد أو بسرفر) إضافة لترجماته لعدد من كتابات القصة العالمية. إنّ هذه الخطوط العامة للمشهد القصصي في مدينة الناصرية لا تدعي لنفسها بأي حال من الأحوال الإحاطة الشاملة بحركة هذا المشهد وصبرورته إلا أنّها تتواضع في أن تؤثر جوهر حركته ومحاولة قراءته قراءة متبصرة وعبر اختيار نماذج سردية منه بهدف سد الفراغ النقدي الذي يعاني منه هذا المشهد وهذا ما سنسعى إليه في وقت آخر .

المفرط على الأدب العالمي بلغته الإنجليزية الحية أو عن طريق ممارسة الترجمة للنص الأجنبي ولذلك نجد أن أجواء هذا الخطاب لا تختلف عن أجواء الخطابات الأجنبية ، كرم الشخصيات وعلاقاتها الاجتماعية وطرق تعاملها ، وطبائعها وصفاتها ، وعادة ما يعبر هذا الخطاب عن استلاب ثقافي يعيشه القاص يشعر فيه بالغربة المكانية دون أن يدفع به هذا الاستلاب إلى الهجرة نحو العوالم التي يكتب عنها ، ولذلك فإنّ القارئ لهذا الخطاب عادة ما ينسى اسم مؤلفه ويتماهى مع أحداث النصّ ليكرّس عقده تفوق الآخر / الغربي في نفسه .

هذه هي تقريبا المقولات الأساسية التي يعمل عليها الخطاب القصصي التسعينيني في الناصرية مع ملاحظة مهمة أننا نضيف إلى أسماء القصّاصين الذين ذكرناهم، جهود الأجيال القصصية الأخرى التي لازالت متواصلة في الكتابة ضمن هذا المشهد مثل جيل الثمانينيات المتمثل بالقصاصين زيدان حمود ونعيم عبد مهلهل وخضير الزبيدي وداود سلمان الشويلي، وجيل السبعينيات المتمثل بالقصاصين عبد الهادي والي وماجد كاظم علي وجيل الستينيات المتمثل بالقصاصين محسن الخفاجي وأحمد الباقري وجاسم عاصي وهؤلاء كلهم يشكلون عطاءات القصة

د. منصور قيسومة.

الرواية الفنية العربية لها مراجع أساسية في حِكْمِنَا القديم
والسياب مبدع بالخرق الموروث والآني جميعا

فتحي أولاد بوهذا.

التقديم: يعد الأستاذ منصور قيسومة منفتح الفكر على سائر الدّوَاسَات. فهو يقارب الرواية بينما يدرس النصّ الشعري، وهو إلى ذلك غزير الإنتاج في هذين الولين من الدّراسة وفي الإبداع الشعري حيث صدرت له دواوين عديدة منها شمس في العتمة وأزهار الماء والملح... ونحن اليوم نقتصر من فكرة القديّ على رأيين: الأوّل في الرواية الفنية العربية إنطلاقاً من كتابة (الأنا والآخر في الرواية العربية الحديثة: دار سحر للنشر 1994) والثاني في الشعر الحديث وبالأخص ما تعلّق منه يبدو شاكر السياب إنطلاقاً من كتابة (دلائل الإبداع والرؤيا في شعر السياب: دار سحر للنشر ط 1 - ديسمبر 1996).

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أ - الحوار في الرواية العربية

أولاً: الإنبهار بالرواية الفنيّة الغربيّة. وهنا أفاد الكتاب العرب في بلورة مقولاتهم حول هذا الفن.

ثانياً: مرحلة العودة إلى المنابت الحكائيّة القديمة. وهم لم يكتفوا. في هذا السياق. باستلهم الموضوعات بل اقتحموا ذلك إلى تمثّل ما هو ثابت في أشكال الحكيم القديم.

ثالثاً: مرحلة التبلور الحقيقي للرواية العربيّة حيث بدأ الكتاب منذ مفتح الستينات ينشئون نصوصاً تجسّم البنية الفكرية العربية المؤسّسية على ذائقة جمعيّة مراجعها من خصوصيتنا.

كثير الأخذ والرّد في تأصيل الرواية الفنيّة العربيّة فهي مرّة أخذ عن الغرب وهي مرّة لا تجاوز الأخذ عن نظام الحكيم العربي القديم، وهي في مرّة أخرى تلفيق من هذا وذاك: أيّس تفقون؟

- تعرّضت إلى دراسة إشكاليّة جوهريّة مزدوجة الموضوع هي: تأصيل الرواية العربيّة وتطوُّرها ولقد تبين لي بعد سنوات من تقليب النّظر أنّ ما استقرّ عليه رأي الدّارسين للرواية العربيّة لا يكاد ينقد إلى جوهر هذه الإشكاليّة إلّا جزئياً مرّت الرواية العربيّة بمراحل ثلاث:

لتوفيق الحكيم رأي طريف مستفاد من روايته وأهم ما فيه أنه سعى إلى تجسيم علاقة شرق، غرب / الأنا، الآخر بنوع من السرد المعبر عن مواصفات تلك الفترة، وهي فترة شهدت رحيل عديد المثقفين العرب لمواصلة الدرس في الغرب، وقد عادوا إلى الوطن بتجارب هامة بالنسبة إلى الأجيال اللاحقة أفادتهم فكرا وفنًا: في (عصفور من الشرق) تتأسس علاقة شرق، غرب على ثنائية رمزية هي علاقة محسن: بطل الرواية، ذلك الشرقي المدافع عن الغرب بإيفانوفيتش ذلك الغربي المدافع عن الشرق، وهذه لعبة فنية مغرية تصوّر نزوع الشرقي إلى الغرب والغربي إلى الشرق وحرص الواحد منهما على الآخر وحاجته إلى الإفادة منه، ولكن ذلك لا يماهي بين الشخصيتين إيفانوفيتش ظل إلى حدود معينة منفصلا عن محسن، ولعل هذا النحو من التلصّب الفني أضعف المستوى الفني في الرواية وجعلها تسقط في الخطاب المباشر في نصفها الثاني خاصة، وهذه النقطة تعد فارقة بين شخصيتي (عصفور من الشرق): محسن و إيفانوفيتش... وشخصيتي (موسم الهجرة إلى الشمال): مصطفى سعيد والراوي. فالذي أذهب إليه أن الراوي في (الموسم) هو البطل والبطل هو الراوي. ولكنهما يشكلان تشكيلا فنيا يفري

ولكن ذلك لم يحل دون أن تكون هذه النصوص حديثة، أي أنها تمكّنت من تمثّل القديم وصهره في تصوّر جديد، هو كيفُ مخصوص يلائم بين أمرين يبدوان متناقضين، ولكنهما عند دقة التحخيص، منسجمان تمام الإنسجام: الإفادة من القديم في نطاق موقف حديثي.

وهكذا يبدو لي أن أهم محرّك في تطوّر الرواية العربية هو المخزون العربيّ القديم وقدرته على المرونة والتشاقف مع الآخر، وعندئذ، يبدو من غير الممكن أن تفهم بدقّة إشكالية تصايل الرواية العربية وتطوّرها دون الامساك بهذا المبدأ: لا يمكن أن نبذل روائياً إلا بالصنوبر عن التراث من نحو والاستناد إلى قناتون التشاقف بما يجد في الرواية في آية لغة من نحو آخر.

– لعلّ الرواية العربيّة لم تتخلّف عن تحسّس قضايا التهضة العربيّة وأهمّها علاقة الشرق بالغرب: فما مدى عمق الرؤية الفنيّة وأصالتها في تناول هاته القضايا؟

أود أن أتوقّف قليلا عند هاتين الروائيتين: عصفور من الشرق (1) لتوفيق الحكيم وموسم الهجرة إلى الشمال (2) للطبيب صالح لأنهما تتلفان في أوجه عديدة وتختلفان في أخرى فتعيّبران بذلك عن أنحاء من تشكل الرواية العربية وتطوّرها.

وأهم دلائل ذلك أن علاقتهما تظل ضرورية على ما يقف دونها من حائل: إنه، بعبارة أخرى، لا يمكن للشرقي أو الغربي أن يزعم لنفسه القدرة على العيش منكفئا على ذاته يتغنى بأحداثه في الفراغ...! فلنُعذِّد الجسور!

...

ب - رأي في السياب

تروى أن السيَّاب حافظ على تعدّد الأغراض في القصيدة الحديثة، ولكنه تعدّد لا تقليد فيه: أتم تطرحون، هنا، ثنائية كثير حولها الجدل: التراث والحداثة في الشعر الحديث، وهو طرح يتركّح عندكم على عنصرين متكاملين: تشكيل القصيدة والرؤية الفنية والفكرية القابعة خلفها. فهل معنى هذا أن مسألة الحداثة الشعرية ليست في حضور التراث من عدمه بل هي كامنة أساسا في هذين العنصرين؟

- المسألة، عندي، كما تتجلى لدى السيَّاب وجماعة من الشعراء المبدعين ليست في إعادة صياغة المقولات الشعرية القديمة ولا كذلك في تأثر النص الشعري الحديث ببعض المقولات الشعرية الغربية، ولكنها تكمن في تفرّد النص الحديث باختراق الموروث من جهة والآتي المنجز من جهة أخرى، وذلك كتأسيس صوت متفرّد رغم ما يبدو عليه من تشارك في مستوى

باختلافهما. فالراوي يوهنا بحكاية تتفق معه فيها على مستوى إفتتاحية الرواية، ولكنه يقحم شخصية مصطفى سعيد إقحاما مفاجئا فلا يلبث القارئ أن يفتن بها ويترك الراوي. ولكن الراوي - لمن يدقق النظر - لا يغيب تماما وإنما يظل في الظهور من حين إلى حين ليذكرنا بالعلاقة بينه وبين مصطفى وهي تتأسس على: تحليل الموصفات الإفريقية والعربية وخاصة على محاولة تفهم العلاقة بين الشرق والغرب: إن الراوي هنا هو الوجه المشرق المتفق مع المواضعة الاجتماعية، إنه يتفق مع الصوت المعلن، وإن مصطفى سعيد ليس سوى صورة قائمة للراوي نخفيها في نواتنا. ومن هنا تبدو العلاقة، بين الشرق والغرب، في منظور (الموسم) معقّدة جدا فهي تستند إلى ما نعلن (رمزية الراوي) ولكننا لن نفهمها أو نعود إلى ما نبطن (رمزية مصطفى سعيد) إن التماهي المطلق بين الراوي ومصطفى سعيد يلمّ بهاته السعادة الممكنة التي يشعر بها الإنسان وهو يعتز بهويته وانتماه من نحو ويكتشف الآخر فيتبادل معه التأثير من نحو آخر. ولعل خاتمة الرواية تؤكد ما نذهب إليه ذلك أن العلاقة بين مصطفى سعيد وحبيبته الغربية إنتهت بقتله إيّاها، وعلى ذلك فقد عانقته لأول مرة معبّرة عن عميق حبّها له.

الشعرية الحديثة.

* هل توافقون على أنكم تؤوّلون الحدائث الشعرية عند السياح على أساس مفهوم حضاري قريب مما قال به غالي شكري في (شعرنا الحديث: إلى أين؟)

- هذا صحيح. وهي مسألة عميقة جداً بالنسبة إلى السياح. ذلك أنه يطوّر تجربته في اتجاهات مختلفة متعدّدة، وجميعها تقضي إلى مقصد واحد: الوصول إلى لغة شعرية كونيّة تنفذ إلى سائر القلوب. إنّ لغته في هذا السياح تعدّ لغة بدائية حيث كان الإنسان في البدء يعبر ببعض الرموز المتاحة. البسيطة، عفاً هو عميق بعيد الأغوار ولقد توسّل السياح إلى هذا بمرجعيات عديدة كانت تُصيّبة من ضوء الاهتمام في الشعر القديم نحو الأسطورة والرمز والحكاية الشعبية والخرافية والسحر وتمثّل ذلك لبناء لغته النوعية.

والجدير بالملاحظة أنّي ربطت هذا في دراستي للسياح بالمستجدّ الحضاري، أي أن هذا الإنسان الذي ما فتى، يتطوّر تطوّراً مذهلاً داخل عالم تكنولوجي وميكانيكي كاسح جاسر لأمال معروف له لم ينس أن ينشغل بذاته وإنسانيته وكان هذا المشغل الإنسانيّ الأسنى من العمق والرفاهة بحيث لا تقدّر اللغة العادية على أدائه ولا تستطيع ملاسة تخومه

المشترك العاطفي المعبر عن القضايا الآتية: هل أمكن للشاعر أن يأسس لقيمة تُفردّه داخل المشترك؟ تلك هي المسألة.

السياح، مثلاً، حافظ على تعدّد الأغراض في القصيدة العربية الحديثة رغم أن ذلك التعدّد ألغى أو كاد مع غيره، وهذا موقف يبدو محافظاً ولكنه غير مقلّد. لأنّ هذا التعدّد الغرضي صار يشكّل عنده تشكلاً جديداً لا عهد للشعر العربي القديم به. كما أنّه آل يستند إلى خلفيات فكرية أدبية ما كان للقصيدة القديمة أن تستند إليها.

ولنقدّم على ذلك مثلاً من قصيدته الذائع (أنشودة المطر). فمطلعه غزلي يقول فيه: عيناك غابتا نخيل ساعة السحر أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر عيناك حين تبسمان تورق الكروم وترقص الأضواء... كالأقمار في نهر يرحّجه المجراف وهنا ساعة السحر كأنما تنبض في غوريهما النجوم...

ولكن صياغة هذا الغزل مخالفة الصياغة القديمة، والأهم أن مضمون القصيد ليس غزلاً بل هو مضمون سياسي، وجودي، إيديولوجي. هو مضمون القضايا الحديثة غير عنه السياح بكيفية تدلّ على أنّه عربيّ صميم في تجربته ولكنّه أيضاً محسّص لساير المقومات

أهقيتها بالنسبة إلى الإنسان الحديث باعتبارها
يمرت قدرته على أداء فكره وشعوره، ثم إن
وضع هذا الإنسان يبدو شديد التعقيد كبير
الغموض مجهول المصيد، وهو غموض يجد
الشعراء يُمرّأ في أدائه بوسائل تنسجم معه
لأنها هي الأخرى ملفوفة بهذا الغموض.

* أنتم تفتنون بالشعر الحديث نقداً وإبداعاً
ما رأيكم في الشعر التونسي الحديث؟
- شهد الشعر التونسي الحديث تغييراً جذرياً
بداية من التسعينات في مستوى ثلاثة أبعاد:
الكم والموضوع والرؤية.

وعندي أن هذه السمات تحتاج في الحكم
عليها إلى شيء من الاتزان وتفاذي العجلة
والأحكام المسبقة. ومن هنا أكاد أجزم بأن
إهتمامنا بهذا الشعر ما زال على عتبات الادعاء
والشعارات، ونحن كثيراً ما نتورط في تناقض
أساسه أننا لا نقرأ هذا الشعر ولا ندرسه
بإمعان ثم نتولى الحكم عليه. وفي الخلاصة
أرى أن شعرنا يحتاج إلى التشجيع وأول
خطوات ذلك أن نتعمق درسه./

* * *

(1) عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم = مكتبة الآداب
ومطبعتها بالجماهير. د.ت

(2) موسم الهجرة إلى الشمال لطبيب صالح = تقديم
توفيق بكار - عيون المعاصرة

دار الجنوب للنشر - تونس 1994.

إلا اللغة الشعرية برموزها وسحرها وقدرتها
على مسك أشد لحظات الشعور الإنساني تفتناً
وتعمقاً. إنه باختصار يمكن القول بأن السياب
أدرك أن الآلة والمادة لا تبلور حقيقة الإنسان،
وأن هذه الحقيقة عميقة غامضة لا تقدر على
أدائها إلا اللغة الشعرية الناشئة عن رؤية
بعيدة الغور.

تبدو. إذن: هذه الأبعاد الأسطورية الرمزية
وسائل تعمق تجربة السياب الرؤيوية الشعرية
ولكننا نلاحظ أيضاً أن غير شاعر يتهاافت على
إصطناع هذه الرموز دون إستناد إلى رؤية
حداثية أجيلة. ما رأيكم؟

- أنا أرى المسألة من نحو مخالف فلا أجد
أساساً بهذا التهاافت، بل قد يكون ضرورياً
لترشيح الأصوات العبقريّة وإسقاط غيرها.
وأود أن ألفت إلى القول بأن هذه الرموز
تستمد قيمة توظيفها من عبقرية الشاعر وقدرته
على تطويرها: بل قد يكون الشعر ذا طاقة
إبداعية عميقة دون الإستناد أصلاً إلى هذه
المضامين لأنه ليس في الإمكان إلزام الشعراء
بمذاهب مضبوطة في إنجاز النصوص. المسألة
هنا متروكة لحرية الشاعر وحده. ولكنني أريد
أن أشير بهذه المناسبة إلى وجه آخر مهم في
القضية يتعلّق بأن توارد الشعراء الحديثين
على مناهل الفكر القديم ورموزه يدلّ على

ذنوب العشق

شعر : محجوبة الجلاصي

وكلّ الوجوه
بأنّك بدايات حلمي
فهل ذنبي أنّني
أحببتك ؟
* * *
أهواك يا رجلا
قطف لي الضوّ،
أغتال سارق أحلامي
والغنى مواعيد رحيلي
وأهداني القمر
وسبح باسمي
عديد المرات
فكيف تختفي
بالخجل
وتبيح انتظاري
تبّاً لشوقي
الذي أضلاني
فهل ذنبي
أنّني أحببتك ؟

كم مرّة بحث بحبي
وأنت تتخفّي
بين خجل الورد
كم مرّة حاصرتك
بنظراتي
وارتباكّي أمام وجهك
وأنت تؤجّل اعتراكَ
أتعبتني المسافات
يا أنت ...
تشعلني ...
تطفئني ...
وتعيدني لعذاباتي
من جديد
فكفاك تعاليا
* * *
هذه تراتيل عشقي
وحكايات أشواقي
ويوحى للفرشات
والنّخيل ...

نجم الليالي

شعر: رندم الهلالي

مرّ هناك ...

نجم الليالي ...

على متن ...

صهوة الخيال

عابرا سارقا الأمانى

محطّما كل المراسي والموانى ،

بأخذ الأحلام

ويلقيها ...

فرادى ... فرادى ...

وحيدة لا تعرف معنى الاختراق

ولا للروح طول الاشتياق

يسأل محتارا ...

عن زرقة البحار

عن دمة الانهار

كيف تجمعها كفّ الأقدار

يقطع المسافات

يقول ياليتني

كلّ الحكايات

يا ليتني

القمر والذكريات ...



المقبرة البحرية

(إلى جان جنّيه دفين العرائش)

شعر : إكرام عبدي المغرب

أرواح تعسّس	لتنصهر في أغواريم سديمي
على أرائك بحرية	مليد بالحنين
تهادن أسيجة عتيّدة	يشق نهديها الرخامين
تأبط أكاليل عوسجية	طوقا صليبيا
تتلقف رذاذ قبل نبذية	تراقص « سانتورا » بابليا
تشم عطر ميعاد أبدي	وتعزف قيثارة سومرية
تتنصل من غمدها الجسدي	جان جنّيه
لتنعل إيوانا	في مقصورته البحرية
وتتنفس الصعداء	يرنو بوجوم إلى نوارس عارية
حوريات	ثمل بشهوة جسد عاجي
تشرق بمكاشفة	أسير رقصته الأفعوانية
تنسج قمائل ملحية	يمارس طقوسه الصليبية
تمتطي صفائرها الأرجوانية	ليتيه رنين الكنائس
وتتدلى إلى مقبرة الحياة	في جلال نغمات مثذنية

حسناء الحصار

شعر : جلال حسن

العراق .

قصاندي تبحث عنك
وعيناي في الأفق
هائمتان
السنوات تصيح ورائي
لاشيء
غير ذكرياتك
وحروب كثيرة تركتها خلفي
وحمصارات تأكل « البوم »
لامظلة قي « باب المعظم »
تحميني من المطر
ولاصديق بأويني
عشق غريب
حين أفكر فيك
أفكر بالشمس

أفكر بالعصافير تنقر بابي
تأكل حنطتي
أو توقظ نعاسي
ولأنك بعيدة عني
وذكرياتك قريبة مني
سأجبك في كل الثواني
واضعاً أكفي خلف رأسي
مشتهياً أرقى وهواجسي
ورجائي الوحيد
أن تتركيني في دنيا وحدتي
لاتطرقني باب أوجاعي
خوف أن تعلق سنارتي
بطعم عطورك
وأصير مجنوناً في حصاري

الشاعر

(أو نبى الرغبة)

شعر : عيسى قارف *

فراغ الكون يسجد حين أبدي
تراتيلى .. ويجدي حيث أجدي
تؤدّي رغبة الدنيا إليّ
وغيري في اتجاه لا يؤدّي !!
أسبح بالذي سوى ضلالي
وأشعل في صبايا الخمر رشدي
وأنبأني بما قد (...) ثم أوحى
بما قد (...) ثم أهلني لأهدي
كتبت لعشقم قرآن شعري
أنا وحدي أظلّ أجيء بعدي
سواي مكرّر عني ، وإنّي
وسعت بما يسرّ وما سيبيدي :
فكلّ حديثهم في الحبّ بعضي
وكلّ هيامهم من بعض ودّي !!
نفخت قلوب آدم شبه روجي
كأنّي إذ تحبّ أحبّ وحدي !!

* شاعر جزائري : ينظر معجم البابطين مجلد 3

ص 710

لو كان لي جناحان

شعر: خديجة غرسلي

لو ... كان لي ...
مثل هذا العصفور ...
جناحان ...
لقطفت ...
ورود الحدائق ...
كلها ...
والأقحوان ...
ثم ...
أبعثها ...
على شرفات ...
صمتك ...
حتى تستحي ...
منك الأحران ...
فيستوطن المعبد ...
ريحان ...
لو... كان لي ...
مثل هذا العصفور ...
جناحان ...
لحملت الأزرق ...
إليك ...

ليغتسل الليل ...
في عينيك ...
ويهجر المكان ...
لو ... كان لي ...
مثل هذا العصفور ...
جناحان ...
لاختطف ...
الفرح ...
من أحلام العناري ...
وأسكنته ...
النبض منك ...
والشريان ...
.....
لكن
لو ... لهذا العصفور ...
مثلي
جواز سفر
أبدا
أبدا ما كان

لأنك شائكة أجترح الخارق وأرثيك معي

شعر : جاسم خلف
العراق

أرهقتني المسافات بين الشُروء
المضرج بالبؤس
والفيض المتأهب للهلاك
جرحا يعوي

في براري المملكة المذبوحة
ومواجه أفشت سرّ التعرّي
وانقضت حربة

ومضى... ومضى
مويراء يدمع نبذته الملاذات
مقتادا خطوته الأولى
جسدا متعبا
يرتدي لهفة الرغبات المحرقة
وتريثت

لأن البالغ جرأته

لا يرى في البهجة غير التي
ضمدت جرحه فمضى

- (أحرقيني على مهل)
وأنشدي لي غوايتي
إحتويتني نثيثا يهطل من عينيك
فلأنك شائكة

مثل دعل الأمانى
أجترح الخارق / وأرثيك معي

ومضات من الشعر التركماني العراقي

شعر : فوزي أكرم ترزي
ترجمة : أنور حسن موسى
العراق

1 - أعياد الميلاد

يستقر عليه الانسان

كانسان

فلم أجدها إلا

في مقبرة الأحلام

* *

في أعياد الميلاد

تلد كل عذراء يسوعا

وكل امرأة محمدا

لينيرا معا

طريق السلام والايان

* *

5 - الزمن الأزرق

لعل إعجابي بزرقاء اليمامة

منذ الطفولة

جعلني أحلم بمدن زرقاء

وبازار أزرق

وسماء زرقاء

ويفتاة زرقاء العينين

6 - ما جدوى

ماجدوى اللسان

إذا لم ينطق باسمك

والعين إذا لم ترك

والأذن إذا لم تسمع صوتك

واليد إذا لم تلمس خصلات شعرك

وماجدوى العمر

إذا لم يمض معك

2 - تدبير ذاتي

أشكر عينيك

لأنهما تمحانني السكر

مجانا

في زمن الحصار

3 - العاشق الأصيل

كل الذين اقتربوا

من مثلث عينيك

ماتوا

إلا أنا !!!

4 - الكوكب الحلم

منذ قرون

وأنا أبحث عن كوكب

هدهدة

شعر : هادية السالمي

ينساب صوتك في الظلام
كوقع المطر
تسأليني عن ألمي
تمسح دمعي وتضمّد وجعي
تقبّل صدري
وتسأل عن سرّي
« ما بك يا أمّي ؟ »
* * *
برنّ صوتك في أذني
كأنّه المسيح يأخذني
يصلني صوتك في السّماء
في الحقل
وفي المهد
تحنّ شفتاك إلى النهدي
تقول : « أمّاه كفى بعباد
بهاجمني الطريق
في البعد : »
أقول : « هو الموت دعاني !! »
لا

أبدا أغادر
وأنتم
حذوي
في ذا المكان
أبدا أغادر
وذي الأرض
بشوق إلى المطر
أبدا أغادر
وذا تراكم
بشوق إلى البرد
همسات أنفاسك
تغذّي شرايبي
دمي يحترق
ينير ظلامك
ويرسم في الدجى
أحلامك
ينساب صوتك في الظلام
كوقع المطر على الأديم :
« أصغي يا أمّي ! »

هذا مخاض السماء

هذا ميلاد الدّواء

هذا ميعاد الشفاء

هذا مولدنا

وذي الواحات

تبارك صحتنا

بنساب صوتك في الظلام

كأحلام تهددني

تدثرني

ببسمتك



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وتعلو النجوم

بأوردتي

وتصحو الشمس

بقلبي

ونغمضي ...

خسرت نفسي

بقلم : بهيجة الدلاي

مقابلة المدير ... هو أيضا فوجئ بمرآي وبكل سهولة قبل مطلب رجوعي إلي العمل من جديد أولا لوجود مكان شاغر وثانيا لاستقامتي وانضباطي في العمل طيلة السنوات التي قضيتها في الشركة .

بعد استلامي الشغل بيومين فوجئت بشابة تدخل علي المكتب... قمجية اللون ... جذابة الملامح ... مليحة العينين...فارعة القد ... ورغم بساطتها إلا أنها تبدو على درجة عالية من الأناقة وهذا يرجع إلى تناسق جسمها وتماسكه...وبعدما ردت التحية انبرت قائلة : - أنا زميلتك سامية العيساوي كنت في إجازة ورجعت اليوم ... بدأت العمل هنا في الشركة بعد مغادرتك لها وسفرك ... سمعت الكثير عنك وعن انضباطك في العمل ... الكل يعدحونك ويتحدثون عن استقامتك ... لم يذكر أحد بسوء ...

كانت تتكلم بحماسة وبصوت عال ... إلا أن هذا الصوت بدا لي وكأنه آت من قعر بئر ... والكلمات التي خرجت من بين شفثيها كان لها وقع المطارق على رأسي ولولا الحياة لصرخت في وجهها بأن تكف عني وتتركني

بعد رجوعي من ألمانيا وهروبي من زيجة فاشلة استمرت قرابة السنتين رفعت دعوي طلاق . فمئذ الشهر الأول من زواجي اكتشفت خبيثي وسوء اختياري للرجل الذي ارتبطت به وعرفت عاقبة تسرعي في اتخاذ قراري بقبوله عندما جاء يطلب يدي ... مكثت في البيت مع أمي غارقة في همومي ... منهارة ... غائصة في هوة سحيقة من الحزن فالصدمة التي تلقيتها حالما غادرت أرض الوطن روعتني وجعلتني أعزف عن كل شيء في الدنيا وأقاطع مباهج الحياة . لكن حنان أمي المتدفق وحضنها الدافئ ومحاولاتها التي كانت تبذلها جاهدة منذ أن رجعت لتخرجني من ظلام الكآبة التي أعيشها جعلتني أستجمع بعضا من قواي وألملم جراحي وأشلأ نفسي المعزقة وأقصد ذات يوم وجهة شركة التأمين التي عملت بها قبل زواجي وسفري ... فوجئ زملائي لمجيئي الغير المتوقع ... قابلوني بالترحيب الحار والقبلات والعناق ... سألوني عن حياتي في الغربية ... أخبرتهم بفشلي وخبيثي وأعلمتهم بأنني جئت أطلب العودة إلى الشركة ... ذلك اليوم لم أجد صعوبة في

لحالي فأنا لست بحاجة إلي مجاملتها ولا أريد الحديث مع أي كان ... فيبعد التجربة المرة التي حطمت أعصابي وطعنتني أصبحت أتجنب الإختلاط بالناس والإستماع إليهم لأنني فقدت كل ثقة بهم ... لكن لحظتها سيطرت علي انفعالي ومسكت أعصابي خوفا من أن أجرح مشاعرها ... اكتفيت بالصمت وتظاهرت بالاستغراق في الأوراق المتناثرة فوق مكتبي ... وعندما اصطدمت ببرودي وتبرمي وضجري من دخولها علي انسحبت وخرجت بكل لطف ... أعترف بأن سلوكي كان غير مهذب وتصرفي غير لائق ... نعم تصرفت بقسوة وفضاضة غير معهودة في ... فيبعد الزواج والمشاكل التي عشتها أصبحت ذات شخصية مخالفة تماما عما كنت من قبل . لا تتصوروا كم تتبدل الشاعر وتتجمد وتقسو بعدما يمر الإنسان بفترة قاسية في حياته أو بتجربة مرة ... فآثارها السيئة تبقى راسبة في قرارة النفس ولا تمحوها أصابع الأيام بسهولة. ومهما بذل هذا الإنسان من جهود مضاعفة ليقر ويهرب من ذكراها أو ينساها تبوء محاولاته بالفشل ... ربما تمر عليه فترات يتهمها له فيها أنه برأ منها ودفنها في حفرة النسيان إلا أنها ما تغتأ إلا أن تتحداه وتفيق من جديد لتطحن أعصابه وتفقد طعم الحياة

ويفقد كل جميل قيمته فبي نفسه . بعد أيام قلائل اكتشفت المكانة التي تحظي بها سامية العيساوي بين زملائها والمحبة التي يكونونها لها. كانت الفتاة لطيفة ... آي نعم لطيفة بحق .. مهذبة في حديثها ... في سلوكها ... في تصرفها مع كل المحيطين بها ... تنسم روحها بطابع المرح الخفيف ... تنثر نكتها ومزاحها ومداعباتها على زملائها دون تهور . فبعض الناس عندما يكثر من المزاح تنفلت من أفواههم أحيانا دون قصد كلمة جارحة تجرح الآخرين وتثير غضبهم ... لكن سامية لا فهي كيسة ... لطيفة ... مهما فاكهت ومزحت وداعبت لا تمنى كرامة أحيد ولا تخدش كبرياء أحد ... رقة جلبت لها كل الاحترام والتقدير والتبجيل .. والحب من قبل زملائها . لا أنكر أنني بدأت أرتاح نوعا ما إلي هذه المخلوقة الرقيقة النظيفة جسدا وروحا وأصبح دخولها علي المكتب يبعث في نفسي الأمل والإنشراح .. بدأت علاقتي بها تتطور يوما بعد يوم ووجدتني في كل مرة أتبسط في الحديث معها أكثر إلى أن عرفت أنها أصيلة مدينة القيروان جاءت العاصمة بعدما فشلت في العثور علي شغل في مدينتها ومقيمة عند أختها . كما عرفت هي من أكون وأين أسكن دون أن

وتبيل كان من فئة الطيبين ومن ذوي النفوس
الكريمة .. التقيت به قبل سنوات في بيت
إحدى صديقاتي فهو ابن خالها ومن أول لقاء
خفق قلبي له ففضلا عن وسامته وشكله
الجذاب فهو ذو شخصية رائعة وساحرة.
ورغم تعدد المناسبات التي جمعتنا في بيت
صديقتي احتفظت بما أكنه له من إعجاب
وحب ولم أبد لأي مخلوق عما يعتل في نفسي
حتي اكتشفت مع مرور الأيام بأنني أيضا
أثرت اهتمامه وإعجابه وأصبح كلما طالت
فترة غيابي عن منزل صديقتي يسأل عني
وعن أخباري وهكذا مع الأيام بدأت الألفة
تربط بين قلوبنا وأسترف لي ذات يوم بحبه
وأكد لي أن غايته شريفة واعترافه يهدف إلي
الارتباط بي ... كان صريحا معي صادقا ...
قال لي أنه لا يستطيع أن يتقدم لطلب يدي
إلا عندما تتحسن ظروفه المادية ... هو أستاذ
في اللغة الفرنسية وفضلا عن كونه حديث
التخرج فهو العائل الوحيد لأمه وأخويه بعد
موت أبيه ... أكبرت فيه بره بوالدته وعطفه
وحنانه علي أخويه ... أحسست بأنه أهل
للمسؤولية وجدير بأن أبني معه الأسرة التي
طالما بنى أسسها خيالي ... ووجدتني من
يومها أعلق كل أمني عليه وبه أربط مستقبلي
ومصيري وأصبح الشخص الوحيد المترع في

تتعمق أكثر في الحياة والأسرار الشخصية.
و ذات عشية دخلت علي المكتب قائلة :

- اليوم بعد العمل مباشرة سأقصد وجهة حلق
الوادي فأنا مدعوة عند أقاربي هناك وسيمر
علي خطيبي ليوصلني بسيارته وبما أن طريقنا
واحد فلا مانع إن ذهبنا معنا لو تريدن .

هتفت مازحة :

- يا للا .. يا للا.. مخطوبة قولي .. قولي من
ذا سعيد الحظ فاز بك ؟

- لا تقولي سعيد الحظ .. أه لو تعرفينه
ستقولين لآنا هي سعيدة الحظ .. آي والله ..

شاب لطيف .. مهذب .. ذكي .. لبق ..
تبيل الخلق .. أبي النفس . التقيت به منذ

شهور فقط .. صدقيني إنسان نموذجي .. رائع
.. أحيانا أحسد وأعجب نفسي عليه وعلي

السعادة تضللني منذ عرفته ...

تركتها تتكلم عن خطيبها ... فارسها ...

وسرحت بأفكاري إلي الماضي ... قصادني
حديثها إلي الأيام الحلوة .. إل الحب الخالص

إلي نبضة القلب .. أكيد سامية صادقة وغير
مبالغة فيما قالت .. عم فقد كنت قبل أربع

سنوات مثلها أصف " نبيل" لصويحياتي
وأنكلم عنه مثلما وصفت سامية العيساوي

خطيبها وتكلمت عنه .. ولما لا فالأرض التي
يوجد فوق أديمها الخبيث يوجد كذلك الطيب

القلب الذي لم يخفق لغيره رغم التقاضي بالكثيرين ... وتقديرا لظروفه وافقته على كل كلمة قالها ووعده بأنني سأنتظره حتى خمس أو ست سنوات إن حكمت الظروف . أصبحنا نحلم معا ونخطط معا ونعيش علي أمل اليوم الذي سترتبط فيه رسميا وبجمعنا بيت واحد دون أن أصرح أُمي وأعلمها بشيء . وسار بنا زورق الأيام هادئا مسترسلا لولا الجديد الذي طرأ على حياتي ... خاطب آخر أقبل كالتنو، والريح الهوجاء ليقلب زورقنا ويقلب أعمده ... خاطب لا يوجد أي سبب لرفضه في رأي أُمي ومن وجهة نظرها... ابن أخت جارة لنا في الرابعة والثلاثين من عمره يقيم بألمانيا من سنوات عديدة ... حالته المادية جيدة... عندما حدثتني أُمي في البداية عن أمره إعتزضت وهزئت وسخرت وقلت في نفسي أنا أتزوج غير نبيل؟ هذا لن يحدث إلا في المنام... لكن أُمي ظَلَّت تحاول وتحاول وتحث إلحاحها المستمر قَبَلْتُ مكرهة ان نستقبله في بيتنا. كانت رغبة أُمي أن أراه أَوَّلًا وأتكلَّم معه وبعد ذلك أَقَرَّر إما رفضه أو قبوله... وفعلا نزلت عند رغبته وزارنا في بيتنا... عندما دخلت لأَقْدِم له مشروباً كنتُ مشمئزّة... نافرة... جامدة... متبلّدة لكن لم تلبث أناقته ووسامته أن بهرتني... كان أنيقا بصفة لم

أعدها في الرجال اللذين التقيت بهم... كل ما فيه جذابٌ ومثيرٌ ويوحى بأن حالته المادية جيدة... ورغم إنبهارى به بقيت متمسكة برأيي ومعارضتي له وفاءً لمن خلق له قلبي... وظَلَّت أُمي تحاول وتلح وتصر أن تعرف سبب رفضي له حتى إنهرت وافضيت لها بخفّة.. بنبضة قلبي حكيت لها عن نبيل ظروفه وعن السبب الذي جعله يتأخّر لطلب يدي ... ضحكت أُمي وعانقتني قائلة :

- يا مجنونة تفرطين في فرصة لا تعوّض من أجل إنسان يتخبّط في الفقر... إسمعي كلامي ... أنا أدري بمصلحتك... إلى متى ستنتظرين نبيلك هذا... ومن يضمن لك بأن عودته غير كاذبة... حتى وإن كان صادقا في عودته فماذا تنتظرين من رجل يُعيل أُمّه وأخويه... ماذا سيقدم لك... الحب؟ الحب وحده لا يكفي لبناء حياة سعيدة... قلت أُمّه ليس لها مورد رزق وأخواه مازال لتلميذين... غدا وبعد زواجك مضطرين لإقتسام اللقمة معهم وستظلّين محرومة من أشياء كثيرة لتوفري ثمن الدواء والملابس والكتب والكراسيس... أي حياة هذه التي ستبدئينها مسؤولة عن عائلة بأكملها... فكري جيّدًا قبل أن تتخذ أي قرار... في الزواج حكمي عقلك ولا تنقادي وراء عاطفتك..»

حقيقتك.. فأننا لا ألومك إن قلت بأن السيارة والعملة الصعبة والهدايا الثمينة والسفر إلى الخارج أشياء، بهّرت عينيك وأعمت بصيرتك..» قال هذه الكلمات ورمقني بنظرة حادة، صارمة، جامدة ثم أدار ظهره وانصرف... كان أبياً شهماً حتى عند غضبه... فرغم حساسية الموقف وخذلاني له... وبركان الألم الذي فجرته فيه لم يجرحني... لم يثر... لم يصق في وجهي ولم يهددني بأن يكشف أمري إلى خطيبي... أكتفى فقط بتلك النظرة الصارمة الحاقدة التي بعثت قشعريرة في جسدي.

تزوجت وبعد أيام رحلتُ إلى المانيا لأواجه واقع عريسي وأكتشف خيبيتي وأكاذيبه... هناك وجدتني مع شخص مغاير تماماً عن الرجل الذي تزوجته في وطني... فقبل الزواج حدثني عن عمله القار والراتب المحترم الذي يتقاضاه وعن حياته الهنيئة الهادئة المستقيمة.. نعم لقد قال لي كل هذا وعندما وصلت وجدت العكس تماماً.. وجدته إنساناً عاطلاً عن العمل يعيش على مرتب ضئيل جداً يتقاضاه من الضمان الإجتماعي... مرتب يكاد لا يفي بالحاجة... حياته تتوقف على القمار والذيون متراكمة عليه... سمعته بين الناس سيئة وردية للغاية... لقد كانت صدمتي شديدة

تكررت زيارات الخاطب الجديد لنا وفي كل مرة يدخلُ مُحْتَلّاً بأعلى الهدايا وأثمنها لي ولأمي فضلاً عن دعوات العشاء والغداء التي يدعوننا إليها في أفخر المطاعم... بسيارته اللمعة زار بنا أماًك في كان الجمهورية لم أكن أحلم أن أزورها... وكلما أظهر لنا كرمه الحائمي وسخاءه يشرق وجه أمي وتتلاها إبتسامتها ويغيرها إحساس بالراحة والسعادة... لقد رأينا منه في تلك الفترة كرمًا ولطفًا ورقة لا توصف ما دفعني فعلاً أن أقبله زوجاً... لماذا أترك الفرصة تضيع مئتي... لا بد أن أتشبث بها.. حدّد خطيبي وأتي موعد الزفاف وأصبح واجباً عليّ أن أنهب إلى نيهل وأصارحُه بكلّ التغيرات التي حصلت لي... تلعثت في البداية وارتبكت عندما قابلته ثم تحركت شفتاي بكلمات بليدة... باهتة... سخيفة لتواجهه بكلّ الحقيقة الطاعنة ولتبرير موقفني ألقىت المسؤولية على أمي... قلت هي التي أرغمتني فأنا مكره لا أريد أن أغضبها... إرتج كيانه... أطلت من عينيه نظرة فزع وفجعية... إريد وجهه... وبعد لحظات أطبق فيها عليه صمتٌ مُذِلُّ أشعلَ سيجارة وقال في سخرية - أمك التي أرغمتك؟ لا فائدة من التعليقات والتبريرات الواهية الكاذبة... إظهري على

بعد الزواج. وخرجت للعمل وبدأت أسابق ساعات نهاري بإصرار عنيد وأعمل أينما توفرت فرص العمل... أي في أماكن مختلفة في اليوم الواحد... عاهدت نفسي على أن أغير هذا الوضع المزري حتى لو اضطررت للحفر في الصخر.

إنغمست في العمل وبدأ روعي يهدأ عندما لاحظت على زوجي بعض الهدوء... إنقطع عن الخروج كل ليلة للسهر والسكر والقمار... وعدني بأنه سيبحث عن عمل هو الآخر... وما كادت نفسي تلتئم الهدوء والاستقرار النفسي حتى بدأ يفتك مني راتبي لبيددة في كازينوهات القمار ليلا وكل مقامر يعيش كل ليلة على أمل أن يكسب الملايين في دقيقة... وبدأت... مشاكلني تتفاقم معه كل آخر شهر إما أن أسلمه ثمن تعبني وشقائي أو يضربني ضربا مبرحا ويمتحن كرامتي... بقيت عدة شهور على تلك الحال حاولت خلالها أن أرجعه عما هو فيه لكن دون جدوى وفائدة بعد عمق تفكير رأيت بأن الحل الأوحد لإنقاذ نفسي هو الهروب إلى وطني ورفع دعوى للإنفصال لأستريح من حياة مليئة بالشاحنات والمشاكل.

في الساعة الخامسة والربع كنت واقفة تنتظر خطيبها.. وجاء فارسها.. أشارت إلي

لأنني تسلقت إلى الحضيض. في البداية صرخت بكيت... نذبت حظي... سألتها لماذا تزوجني وهو لم يخلق ليكون مسؤولا عن أسرة... هز كتفيه وقال بكل بساطة:

- كل أفراد العائلة أرهقوني بحديثهم عن الزواج من تونسية ومن كثرة سماعي لمؤالهم كلما ذهب في إجازة نزلت عند رغبتهم وتزوجتك والآن عليك أن تتقبلي الواقع وتخرجي للبحث عن عمل كمائر النساء هنا... خرجت كلماته لتلهب النار في أحشائي أكثر وتزيد عذابني... ماذا سأستغل هنا... حتى العمل في المصانع والمعامل لم أمارسه من قبل ولم أتعود عليه قط... عزميت على الرجوع إلى الوطن لكنني عدت وتراجعت... خفت على أمني من الصدمة وعلى نفسي من كلام الناس...

ماذا سيقولون في مجتمعنا عن عروس رجعت إلى بيت أبيها بعد أسبوعين. بعد عدة أيام وجدتني أقول لنفسي ((بماذا سيفيدني البكاء والنحيب... لماذا لا أقهر حزني وأتغلب على يأسني وأتأقلم مع حياتي الجديدة وأخرج كما قال للعمل... هذا لو أخذ بيده ونبدأ معا حياة جديدة منطلقين من الصفر. فرحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة كما يقولون... ربما ينصح حاله ويرجع إلى الطريق السوي كم من عابث منحرف تاب ورجع عن غيه وأستقام

وأعرف نبيل أخلاقه... تحركت شفتاي تتعلل
لسامية بأنتي على موعد مع طبيب الأسنان
ونسيتة ولا بد أن أسرع في الذهاب لتسوارك
الأمر... نزلت أجر خطاي وأرتعش كورقة
هبت عليها الريح إلى جانب سامية أمام مبنى
الشركة وهي تعانق غصنها... كل شيء من
حولي غاب... كنت أخترق الشوارع بلا وعي
ولا بصر... فقط أسئلة عديدة تصطبغ
بأعماقي... كيف التقى نبيل بسامية؟ هل بعد
سفر كان يمر أمام مبنى الشركة للوقوف على
أطلال حبه إلى أن تعرف عليها؟... أين
سأهرب من وجهها بعد اليوم؟ هل أخسر
عملي أيضاً مثلها خسرت نفسي؟

دوسلدورف - ألمانيا

أن أركب وفتحت باب السيارة... وما كدت
أحسني بنصفي الأعلى لأركب وأحسني خطيبها
حتى شلتني مفاجأة... تسترت نظراتي
واعتراني ذهول واضطراب وارتجاج في
كياني... تمنيت لو تنشق الأرض وتبتلعني في
تلك اللحظة... لماذا يا زمني تقسو علي بهذه
الطريقة؟ وما أمهرك أيسها القدر في نسج
خيوطك! أسرع أشبع بوجهي عن الجالس
أمام المقود... لقد كان هو... نعم هو... نبيل
برججه الهادي ونظرته الحزينة... لقد التقت
عيناها بعينه... هو أيضاً بدت على وجهه
الذهشة... كلانا مشدوه مضطرب وسامية بيننا
لا تدري من أمرنا شيئاً بمرحها المعهود تقذمه
لي وتعرفني عليه... وقبل لحظات كانت تعدد
صفاته الحسنة ولا تدري أنني عرفته قبلها

وتبقى قطام

بقلم : علي السباعي

1419 هـ

الجمعة : السابع والعشرين من رمضان

الساعة : الثانية عشرة وخمس دقائق رفع أذان

الظهر احتياطا قبل خمس دقائق

قطام هي التي سمعت :

.. لا ...

رافضة ، مستقرة ، تردد صداها طويلا ناهيا

خشنا :

.. لا ... لا ...

كانت قاسية ، حادة ، عريضة النهاية اخترقت

مسامع النسوة ، ثقيلة كالحجر الذي وضع فوق

صدر بلال :

.. لا ... لا ... لا ...

أقعت أمام باب المسجد ، بلا ظل ، قبضتها

تعتصران تراب الكراهية تحت شجرة اللبلاب ،

عباءتها طافية خلفها تدثر خطواتها ، عيناها

حادتان تحاولان إمساك كلمات المصلين ، زجرت

خطيب الجمعة :

.. أتظن بأنني لا أسمع لا أنك ؟

ردد المصلون :

.. / ولا الضالين / .

انفعلت :

.. إني ... أسمع ...

انفلشت ذرات الرمل هاربة من اعتصار

قبضتها ، أعلنت :

.. سأحظى بمهر غال ..

جاءها صوت المصلين قاطعا كالرمح الذي

خبأته هند فأصاب أسد الله :

.. لا ... لا ... لا ... للسفور

لون وجهها بقعته زرقة نيلية ، أغمضت عينيها

تحتبس الألم ، تحسرت متسائلة :

من يرفع عنا هذا الوقف ؟ من ؟!

النسوة المصليات احتشدن حولها مندهشات

عندما خلعت عباها ، فتحرر منها قباض

الأرواح الذي قطنها زمنا ، رمتها ، أسفرت عن

جيد علقت عليه حبلا رفيعا من البرسم

تتطاوح مندلقة منه دمي . دمي متسكية على

متنها الأيمن بهينات بلاستيكية لمنافقين ،

قماشية متخذة أشكالا نسوة شهيرة ، وصوفية

لجنود بزي الأسر ، ودمى ورقية تخدعت فوق

متنها الأيسر لقواد حربيين ، دمي مطاطية

غليظة لرجال دين ، وأخرى حديدية لأطفال

أعادت المصلية سؤالها :

.. والنداء .. ؟!

قالت :

.. كيف ترتضين أن يعاشرك رجل لا يعرف

القسط ؟

آخر الدواء ، الكي ، وآخر الصمت عود ثقاب

مشتعل رمته قطام ، فأحرق عبا ، تها ، بدت

عينها السوداءوان ملطختين بالنار وشفتها

تلمعان في مسرة ، تمردت قائلة :

.. انزعن عبا ، اتكن وارمينها في النار .

أغاضها سكوتهن :

.. النار تحتاج . دأنا إلى خطب ...

قاطعتها أم برفقتها فتاتان بسن الزواج :

.. وهل كان السريوما خطبها !!!!

قطام هي التي رأت دس إصبعها في جرح حواء .

الأبدي : العصيان

ذلك المرح الذي حملته عن أمهن حواء ، فكأن

يعشن في المنطقة الآمنة : أطاعت الرجل ، في

العتمة و في السر ، الآن .. صرن يعشن في

المناطق المحرمة تلك المناطق التي يضيئها

العصيان .

قالت :

.. كنا أطول حياتنا وقفا للرجال

عجوز درداء من خلف كومة فجبل تتساءل :

قالت :

.. الحرية ! ستكون لنا حريتنا !!

يعيون كالنطف باردة ورغبة .

نظرت قطام بأتجاه الشمس بعينين نصف

مغمضتين ، ثم بعينين مفتوحتين صوب ظلها

، رأت جسدها بلا ظل ، حاولت فرش ظلها

على جدار المسجد . لا ظل . فقط جدار أبيض

وظل رمادي مزرق ترشح من شجرة اللبلاب ،

تطلعت ناحية المصليات بعينين ناريتين آمرتين

بعدها تفوّهت بكلمتين متمردين :

.. انزعن عبا ، اتكن

.....

صمت محايد أخذ شكل متاهة ، واسعا مثل

صحراء الجزيرة ، صار امرأة تكسرت بكلمتين

جرائيتيتين آمرتين :

.. انزعن عبا ، اتكن

استمر الصمت محايدا غير منجاذ لنداءات

قطام :

.. اخلعن قيد عبوديتكن

علقت إحدى المصليات باندھاش :

.. والنداء ... !

/ مداخلة واقعية / خلف حشد المصليات رجل

مربوع القامة يندلق من عينيه الحمراوين

غضب ساخن . عنوة كرعز زوجته قنينة مملوءة

ة بالبنزين ، ضغط على زناد قداحته فكانت

النار ما رآته قطام .

انفجرت :

.. رأيتن . الرجال لا يعرفون إقامة العدل ؟!

« كبساطيل » من نار تجوس إسفلت الشارع ،
فشكلنّ الحواء ات / أورو القطامات /
تفوهت قطام بكلمة واحدة :

.. أشك

تساء لت شقيقة المحترقة بحزم :

.. بم ؟

قالت :

.. بكن

ذكرتها حزينة :

.. أيكفيك دليلا ما فعلناه بآدم زوج أختي ؟

غازلت شفتاها الشهبانيتين ابتسامة الراح

على مائدة القمار ، انتزعت من رقبتها إحدى

الدمى ذات الزي النسوي ، مقلدة :

.. خذي ((سيميا)) * .. إنها دمية الخلود ..

أنت الآن خالدة

عقبت :

.. لست سيميا أنا

قاطعتها :

.. أنا أراك سيميا

شعرت سيميا بريبة نجاسية باردة ، أفصحت

عنها : .. ماذا بعد العباء ات ؟

قالت قطام ببرود :

.. الوأد

تساء لت :

.. وأد من ؟

قالت :

معلمة تربية إسلامية تفوهت بدهاء :

.. لنحتفظ بعباء اتنا لليوم الأسود مادما

متحررات .

قالت قطام مشيرة ناحية جسد المرأة

المتفحم :

.. وهل هنالك يوم أكثر سوادا من يومنا هذا !!!

تمتمت بانعة الفجل بتأثر :

.. ستكون عباء اتنا مسمار جحا

تساء لت المعلمة :

.. أين نهرب من ماضيها ؟

بادرتها مستطردة إثر صمت قطام :

.. سنعيش بذلك محنة إبنانا مع الرجال

قطام هي التي رأت حركة أصابعه وجلة ،

لينة ، هزت رأسها باحتفاء ، وتأتثر وهن ينزعن

عن رؤوسهن عباء اتهن ، من تحت ظلمة

العباء ات استيقظ فجر مفضوح رمى جيته

السوداء ليتحرر منها فجر أجسادهن الأشقر

الذي تناوشته مواشير الشمس ، فتمايلت

الظهير شقرا ، حريرة دائخة تؤكد شفافيتها

ساعة شمّ انخفاضا طيات هضابهن الساخنة

.. تطاير .. تألم .. تناثر فتاته من حلاوة

عيقهن مواشير ضوئية رسمت كشاكشها على

جدران المسجد وحيطان المنازل المجاورة ..

بهذا دار ناعور النار يحرق الحزن الأسود الذي

تراصف ذليلا في مشاجب النار ، نيران تأكل

نيرانا ، نيران خضر تلتهم إسفلت عباء اتهن

كل ذكر . قال :

راغ ضوء الظهيرة كثعلب أشهب يلوذ متقافزا

خلف غيوم رصاصية متناثرة شكّلن مع ضوء

الظهيرة أرخبيلات غبشية متشرذمة زرعت

وجوه الموء ودين بلون حبري، طلى وجوههم

بشّج حبري مثل لون زهرة الحرب ، لأوك مرة

... أضحت النسوة لا يندبن ، ولا يخرطن

خدودهن ، ولا يلطمن صدورهن ، ولا يمزقن

ثيابهن .. صرن واندات : ((أطفال . صبيان

. مراهقين . شبّان . رجال . كهول . هرمين))

قطام هي التي رأتهم يتخططون في أخبث ميتة

كثر معها تأرجح ضوء الشموع لحركاتهن الدء

وية وهي تمزّق ثوب النار الذي تكدر وأضحى

مهلهلا نتيجة حضور بعض النسوة طالبات :

نحن نطلب رحمتك

قالت بعينين معدنيتين :

رحمتي أن آخذ الطفل من يد أمه وأنده

رفوش الواندات رقشت مزدلفة الموء ودين

بقبور غنمتها آلاف الشموع الحرس ، رجال

المدينة غبر عابثين بالوأة ، بينما العالم

الخارجي خائف ، يتشمّم رائحته فيستراجع

مرعوبا يشيعه تساؤل خطيب الجمعة الساخر :

من أنت ؟

شلت حركة بؤبؤها رؤيتها إمام الجمعة بشيابه

البض أمامها ، قالت :

أنا التي رأّت كل شيء

قال :

وما رأيت ؟

قالت :

الحيانة

عقبت :

الحيانة : مهنتي

قال :

ما جنيت منها ؟

قالت بخيبة :

الألم

قال :

أه . كدت أنساه . قانون الحياة

رفعت حبل دماها ، فتأرجحت ظلالها فوق متن

الحياة . قطام هي التي رأّت استنساخ الدمى

دمينة تستنسخ دمية ، دمي تنشطر من دمي

تتكاثر ، وما قطام إلا دمية صغيرة تحركها

دمي أكبر منها و قال :

أنا أرى

قالت :

وماذا ترى ؟

قال :

الخراب في عينيك

بعينين معطلتين أشبه بساعتين خاليتين من

العقارب ، قالت :

أنسيت أن الجميع عميان لا يرون ما تراه

أعادت حبل البرسيم إلى رقبته فتراكضت

إلاّ قطام أدارت ناعورها مع عقاربها ، قالت :
خذوا حصتكم من الواد

قال :

كل شخص مستعدّ أن يظلمك

.....

قال :

كل شخص مصغّر عن : قطام

قالت تسأله :

أيّ قطام ؟

رأت قطام ارتجاف طرفي شاربه ، قال :

الشجاعة جدا والجبانة جدا ، الكريمة جدا ،

والبخيلة جدا ، العفيفة والحائنة ، الطاهرة

والقذرة ، المسالمة ، الوائدة ...

قالت :

« وأنت ؟ »

قال :

ما أنا إلاّ خروف يخاف الخروج عن القطيع

هدرت ضاحكة وهي تشير بسبابتها ناحية

صدرها :

ما قطام إلاّ جب الحيانة

.....

أنفقنا عمرنا نعيش في ظلّ الحبّ . بداخله .

نبنيه ، نعليه حتى تطاول بناؤه حول قاماتنا ،

آنئذ .

أمسى لكل واحد منا جبّه الذي يقبع فيه ، بثره

، سجنه ، قال :

ظلال دماها متقدمة صوب متنها أصبحن /

في جبهها جبل من مسد / ، قال

« أمن أجل الألم تندين الذكور ؟ »

اقتربت منه هامسة :

كل مؤذ يعتبر « نصب حيّ » ** لخلودي

قطام هي التي رأت أنّ الذكور هم نصب حيّ

لخلودها ، وخلودها يأتي بوادّ الذكور ، إنّها

حكاية قديمة لناعور يدور بالكراهية حول

محور التاريخ وأذرعه منتضية حراب الطعن

من الخلف تغدر الرجل وظله ، قالت :

مهر حواء كان نزول آدم من الجنة واليوم

مؤجل مهرها : الوادّ ، فحواء هي التي أدارت

ناعور الدم مع دوران عقارب الساعة فكان

الدم هو ما بدأ به الناعور دورته ، لم يتوقف

قط أبدا يدور ، لا النهر ينضب ولا محجوره

يعطب ، وأذرعه استبدلت الدلاء بالحراپ ،

تشخذ وتطعن سبعا عجافا يأكلن سبعا سمانا

في سوق الهرج كانت الأرض سمراء صارت

مرجانية ... عنابية ... لكثرة ماقدّم فوقها

من قرايين ، قالت :

در أيها الناعور ، در

أرادت عكس دوران ناعورها بالوادّ ، كون

كلّ الأشياء في الطبيعة تدور عكس عقرب

السّاعة : ((البيضة المخصبة ، الذرة ،

المجرة ، الشمس ، القمر ، الأرض ، الطواف

حول الكعبة))

• / إذ يلقون أقلامهم أبهم /
هزت رأسها بنعمومة ، رميت الأقلام ، سارت
كلّ الأقلام مع التيار إلّا قلم واحد ضدّ التيار .
آذن البيض يفوز ، رأت قطام فوزها ،
والحاسرون تقاسيح تكي حظها ، حظها بلون
دموعها ، ودموعها بلون وجوها ، وجوها
بلون أعمالها : سود . سود سود ، إذن الأسود
خاسر ، قالت :
• مزكن جبتة .

قال :

• عندما أود . ابقين يدي اليسرى خارج التراب
، ستشاهدين / وسطى / يدي منتصبه بينما
بقية الأصابع مضمومة . حتى ، وإن أطبقتها
ستعاود الانتصاب .

قالت بعنف :

• أو ثدنه وأجعلن كفه اليسرى متهدجا :
بابتسامة متنبئة خرج صوته متهدجا :
• ستوأدين في جب حضاري .

وأد على وأد ، تراب فوق تراب ، ظلال بجانب
ظلال ، دمي تحركت منزقة من متنها يرغبن
بمشاهدة الشيخ الذي كان وجهه إلى السماء
وعيناه مشرقتان تقبلان وجوه الدمى قالت :
• ماذا ترى الآن يا شيخنا ؟

بعينين صافيتين قال :

• تريني وأراك ، سعبدة وشقي ، عيناك
وعيناي مسلولتان ، وكلاتا دمية . دمية

• سجنك كراهيتك للرجال

قالت باعتزاز :

• أنا التي رأت كراهيتها .

آذن . الدودة مازالت داخل التفاحة ، والداخل
منخور نخوته دودة عمياء لا تدري أنّ التفاحة
نظرة من الخارج والذي نخوته هو : القلب .
روح التفاحة هو الأساس بينما الخارج . أغلفة
• أسبجة . مجرد قشور ، أراد الشيخ
إمساكها من يدها التي تؤلمها :

• ماهو مهرك هذه المرة ؟

قالت بصلافة :

• الروح .

السماء كمؤخرة دجاجة زرقاء محشقة
بشرينات عنابية ، باضت قمرا اندلج سائحا
فوق هلام جلاتيني بلون اللبسون الأصفر .

شعت البيضة الفضية خبوطا « المنيومية »
كابية قاض منها رذاذ غباري يصهل بوجه
الشمس مناكفا اياها بطلوعه ظهرا اجتمعت
الشمس والقمر صافيان في سماء صمغية
ثقيلة / الشمس والقمر صافيان في سماء
صمغية ثقيلة / الشمس والقمر يحسبان /
والسما رفعها ووضع الميزان / . قال :

• أتؤمنين بالقرعة ؟

قالت :

• أو من بالخط . فقط

قال :

قال :

- يوما اثر آخر الحلقة تضيق عليك ، تصغر ،
والدائرة الكبيرة أصبحت خرم إبرة ، وأنت
محاصر وسط الحرم . بالضبط في منتصفه ..
يوما بعد آخر وحدك تلوك أفانك .. أنت آفة
الهوامش ، لم تكن يوما دودة كنت تفاحة
تسغن داخل الدودة والدودة في شجرة / لا
شرقية ولا غربية ... / بالضبط في مركز
الحصار .

عيناه لاهتتان مشدوهتان تتابعان ماورد على
الهامش :

- يوما بعد يوم تكتشف بأنك ضحية لعبة كبيرة
، هائلة ، ومخفية ، وكنت فيها دمية صغيرة ،
هشة ، وقشية . انفقت عمرها تعيش نصفاً في
الظل والنصف الآخر تحت الأضواء الساطعة .

سرح الشيخ مبتسماً مع حركة تأرجع ضوء
الظهيرة فوق لحده ، انحصر الضوء ، فكفَّ
الشيخ عن الابتسام بينما يعود ضوء الشمس
للتأرجح يعاود الشيخ الابتسام ، ثم انحسر
الضوء بسبب انهيار التراب عليه . آنذ . كفَّ
الشيخ نهائياً عن الابتسام ، قالت متبرمة :

ماذا ترى الآن ؟

قال من غيبوبته :

يوم (التناد) ***

باردة . الأرض باردة ، برودتها محبة . مخدرة
. لاسعة لسعات ضامة احتوائية تحيل صلصال

تحركها خيوط خفية ، أنت دمية كبيرة تحركك
دمى أكبر منك ، وكلنا ... دمي صغيرة في
جب متلولب ، حصار داخل حصار ، والدودة
داخل التفاحة ، ...

قالت :

ماذا ترى ؟

قال :

اللوح المحفوظ .

قالت :

اقرأ لي ما تراه .

قال :

أنا لا أقرأ ... أنا لا أرى ...

قالت بنفاذ صبر :

ماتراه على اللوح ؟

قال :

أرى داخل اللوح ((الانسان وهو في بطن
أمه يكتب له أما أما أن يكون شقياً أو سعيداً
(...

قالت :

دع عنك ما في الداخل ، الداخل وهم ، وقل
لي ماذا ترى على الهامش ؟ فالهامش هو
الأساس .

قال :

ما أراه يخيفني .

قالت :

ما يخيفك لا يخيفني .

الجسد الأسمر إلى عجينة شمعية تستسلم
بكبرياء و غرابة لجسد الأرض يرتديها بلدونة
رخية ساهيا عن شفتي الشيخ اللتان
تدمدمان معذبتي عاتبتين على العينين
البضاوين الغامتين لحظة انيثق من مقلتيهما
الحنطاويتين خيط دمع ساخن ومعذب مصبوغا
بحمرة فاترة ، وحدها قطامي رأّت بعينين
فزعتين رامشتين مصيرها في / وسطى / كفه
اليسرى ، جثت على ركبتها تضم الإصبع
لباقي الكف فتعاود الوسطى انتصابها .
تميدها ، تأبى الاتحنا وتبقى منتصبة .
أخذت تلتقط الحصى ، ترمي به قبر آخر رجل
يؤاد ، تبت يدك يا قطام ، باطل أنت .. فيما
حصواتها السبع يقصفن سحبا عجافا ، سوت
بانعة الفجل من وضع عبا ، عيناها
معذبتان ترشحان دمعاً لمشاهدتها رجالا
بيذلات سود يلقون بانعة الدمى في حوض

سيارة حديثة ..
عشرات العصافير المزققة رقطت جدار
المسجد ، أطلّ خادما لجامع متطلعا بعينين
محورتين لدمى قطام الحرساء ، أخذ يللملها
في زنبيلها الخوصي ، ثم بعينين ضارعتين
شاهد كهرمانة تسكب من دلاتها الأربعين
غروباً بنفسجيا منقما بدفقات حلمه ليلة أمس
، تناديه قطام رغم بكما ، قائلة :
- أين تهرب من ماضيك يا من ستولد فيما بعد
؟ .. إقرأ زمنّا عنكبوتيا حاصرنا بنسجيه
القاسي ، ... كلنا رأينا ، لكن من الذي يتكلم
لكم يا جيلا آت ؟!

* سيمياء زوجة النبي لوط
** قال راجيف غاندي : كل طفل يبصر النور في
الهند سيكون بمثابة ((نصب حي)) الوالدي الراحلة
أنديرا غاندي
*** يوم التناد : يوم تولون الادبار

الصوص

بقلم هيثم محسن الجاسم

- العراق -

تقلق، الليل سيخفي الملامح، مثلما أخفى
ملاح وجهك المتسخة وأنت تقتل للمرة الأولى،
اهرب، لا أفترض محكمة الليل، عندما صرنا
نسمع إطلاق نار نارية طائشة تجوب الليل
معبأة بالموت، في وقت مبكر، نلوذ في دورنا
ميكيرين، نختبئ، خشية أن يقتحم اللصوص
خلوتنا أو يجردونا من حوائجنا عنوة، يجب
توخي الحذر عند الانتقال من منطقة مضاءة في
الشارع إلى منطقة مكشوفة معتمة، ربما تتحول
إلى هدف في منطقة القتل، أو سكين تسترئص في
الظلمة لتغمد في جنبك.

المشهد الأول:

شوارع فرعية مفتوحة على الشارع الرئيس
(التجاري)، دروب ضيقة، خرج أحدهم يلف
رأسه بيشماغ أحمر اللون من أحد الأزقة،
وقف على ناصية الشارع، أشار بيده إلى
سيارة أجرة مقبلة بالتجاهه، القم فمه
سيكارة، الساعة الآن الواحدة بعد منتصف
الليل يبدو على السائق الارهاق لقد تجول
كثيراً في أرجاء المدينة يبحث عن راكب في هذا

الليل موبوء، ضباب معتم، دم مراق،
شرف مستباح، كأس ثملة، رصاص طائش،
سكين تقطر دماً، خطوات مرتبكة، حقيقة
مسافر، أجساد منهكة، وحشة، كآبة، خوف،
أفكار سوداء، انتظار، سفر، لقاء متأخر،
لصوص، سرقة، تربص، حشرات هائمة تؤطر
الليل بالوحشة، ظلمة ثقيلة وطويلة، عيون
دامعة، بكاء صامت، شكوى، لم يعد الليل
هادئاً ساكناً.

في وقت مبكر غادر المصلون المصلى،
الشوارع خاوية، تلتصق المصاييح النيونية الملونة
في عيون الهائمين الداخلين فراداً، أزواجا في
غياهب الحانات الصاخبة بالمزامير والطبول،
زوايا المدينة المعتمة معبأة بالموت والخوف،
أسدل الليل أستاره واكتست الأشياء وكل
الحيوات السواد، بات من الصعب التفريق بين
الأشياء، الخطوات القلقة تنفص عن خطر،
عندما يداهلك الخطر، لأول مرة تكتشف الشر
في أعماقك، كأنك تتعرف على نفسك للمرة
الأولى، بأي شيء، تدثر جريمته، لا حاجة لأن

الوقت المتأخر.

- مرحبا... الضاحية الجنوبية

- بعيدة! أجاب السائق وتسللت أصابعه

تحت المقعد تداعب رأس الهراوة. أبتسم

وقال: - اركب.

دار السائق بالسيارة حول

السائق بالسيارة حول الميدان واتجه نحو

الطريق السريع، في أعماق الراكب قشعريرة

جذلة وحدث نفسه. حافظ على هدوئك لئلا

يرتاب السائق بك.

المشهد الثاني:

بعد نزول السيارة من الجسر السريع لمح

السائق من بعيد رجلين على جانب الطريق

يلوحان إلى السيارة إشارة للوقوف. يبدوا أنهما

على عجلة من أمرهما

قال السائق: - هل نقلهما معنا؟

قال الراكب بتعلل.. لا مانع. وعاد إلى سكونه.

- رجاء... إلى الضاحية الجنوبية.

نظر السائق إلى الراكب ثم أجاب: - اركبا.

دلف الرجلان إلى المقعد الخلفي. سارت

السيارة على الطريق السريع زاد السائق

السرعة إلى أقصاها. وأخذ بدن السيارة يصدر

صريرا من شدة الإرتجاج. تبادل الرجلان

الجالسان في المقعد الخلفي النظرات وبحركة

خاطفة. وضعوا النصال الحادة اللامعة ليديهما

على رقبتي السائق والراكب. صمت ودوت

صرخة في داخل السيارة محذرة: - أي حركة

نقطع رأسيكما... اركب السيارة. ارتخت قدم

السائق الضاغطة على دواسة البنزين امتثلا

للأمر. كان الراكب هادئا وساكنيا في المقعد

الأمامي حتى أن ترك أحد اللصوص يدرس يده

في جيب معطفه ويخرج محفظة النقود. تهيأ

اللسان للنزول. عندما توقفت السيارة وهم

اللسان بالنزول. شعر الراكب بمدسا وصاح:

- مكانكما. وهدد بإطلاق النار إن لم يمتثل

لأمره ثم صرخ محذرا آمرا: - إرفعا أيديكما

إلى أعلى. صفهما خلف السيارة بعد أن

جردهما من الحقبة التي بحوزتهما والمال

الذي سرقاه. وطلب من اللصين أن يسيرا

بالتجاه معاكس لوجهة السيارة وحذرهما من

الإلتفات إلى الوراء. أمر السائق بالإنطلاق

وبسرعة.

المشهد الأخير.

فرت السيارة منطلقا. وابتلعها الظلام.

وفرغ السائق والراكب بنجاتهما من اللصين.

قلب الراكب الحقبة باحثا عن قلبيها. ولما

عثر على القفل ضغط على دواسة معدنية. رفع

الغطاء كاشفا عن رزم نقدية من فئة (250

دينارا). انبهرا وضحكا حتى استغرقا في

الضحك من هول المفاجأة. عد الراكب النقود.

العاهرة... كنت أريد قتلك وتجريدك من
السّيارة. لكنّ الله رفّق بك فأرسل هذين
المعتوهين بدلا عنك.

لما سمع السائق الكلام، امتنع وجهه وكسته
صفرة فاقعة واختلجت أنفاسه وازداد وجيب
قلبه، فغرمه غير مصدق ما يسمع، ضغط على
دواسة الكابح، ترجل الركّاب من السّيارة
مخلّفا وراءه المديتين، هروا باتجاه أحد الأزقة
تاركا السائق في حيرة ممّا جرى، فأدار محرّك
السّيارة منطلقا ليبتلعه الظلام.

هيثم محسن الجاسم - 2000 -

العراق - ذي قار

ترك عدّ النّعود صارخا بالسّائق أن ينتبه
للقيادة. تبادل الإثنان النظرات المرتابة، أغلق
الراكب الحقيبة، ناول الراكب السّائق خمسة
رزم نقدية وقال له مبتسما بخبيث: - ابتع
لنفسك شاة، اذهبها فداءً لنفك، أنست رجل
محفوظ، أحمد الله على نجاتك. لم يرق ذلك
للسّائق، فرمقه بخنق وقال بانزعاج: - هذا
ليس عدلا، قسم المال بالتساوي. ومدّ يده إلى
قبضة الهراوة. هنا انفجر الراكب غضبا، نبّح
كالكلب المسعور مكشّرا عن أنيابه، شهر
المسدّس بوجه السّائق وقال معنفا: - ابن

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>



ثمل تسكره هلوسات الحكمة

بقلم : مريم كافية

مالك تنظرين إليّ هكذا ؟ ولماذا أنت تعبسة ومقرفة هذا اليوم .. ؟ لا تحاولي إثارتي ولا تزعجيني بذلك الموكل .. فهذه الليلة بالذات أريد أن أحتفل بالنشوة التي تمتلكني ولا أحتمل نظراتك بل لعلّي لا أحتمل المكان نفسه .. فما رأيك إن أرحتك وأرحت هذه النفس الرأغبة في التحرر ؟

وقبل أن يتّجه صوب الباب ألقى نظرة على جسده النحيف فتفتّحت إلى ضرورة الإصلاح من صورته فمن غير اللائق أن يظهر بمثل هذه الفوضى ..

قميص لا يكاد يغطي إلا بطنه ، بقع عديدة لعلّها من ماء أو من نبيذ أو من سائل طبيعي تؤثت سرواله ، حذاء بلا لون ولا هوية مستعدّ للإستقالة في أي لحظة ، سترة عريقة يعود تاريخها إلى عصور ما قبل التاريخ ألقيت باهمال على كتفيه .

رفع رأسه في تحدّ ونظر إلى زوجته التي لا تزال على حالها ، عيان دامعتان ، يدها اليمنى مسندة إلى خصرها أمّا الأخرى فقد وجّهتها بعنف إلى صدرها وكأنّها تصرّ على

الانغلاق . وأخذ يحدث نفسه في تقطع .
- ما ضرّ .. ما ضرّ لو خرجت على هذه الشّكلة ... ألن أكون أنا ... أسيجراً أحد على الاستهزاء بي ؟

ماذا لو لم أجد ما أستر به عورة هذا الجسم ؟
إمّا أنّي سأضطرّ إلى الإنحراف وليس لأحد الحق في محاكمتي أم سأكون كما أنا وسيجبر الكلّ على احترام قرني ويؤسي .

عندما وطئت قدماء الشّارع كانت السّاعة قد تجاوزت الواحدة . المدينة ، موغلة في صمت جنائزي يزيد من وحشة هذه الليلة المقفرة .

عدد قليل من الققط اعترضت سبيله . الجليّ أنّها كانت تبحث عن الأمان وعيونها الجميلة تبرق ببراءة . ويقدر ما أسعده مواء الققط أزعجه نباح الكلاب السّانبة ... وما أكثرها ... هم كثر سواء بالليل أم بالنّهار .

كان وهو في طريقه إليه يتساءل عن حقيقة مشاعره تجاهه ، عن حاجته في كلّ مرّة يتحرّر فيها عن عالمه التّعيس إلى التوغّل في أعماقه ، عن رغبته الملحة فسي أن يكون

لعلها حكمته فهو الرَّحِيمُ العليم.. ولكن لماذا لا يبْدُ هذا الشَّقَاءُ ويصرف عَنَّا العذاب بانهاء هذه الحياة البانسة ؟

جحظت عيناه فجأة وقهقهه عاليا وتسامل من جديد ما معنى أن يحيا الإنسان مكرها ويموت مكرها وهل صحيح هناك حياة بعد موت ؟

أنا مثلا لماذا خلقت هكذا ؟.. الحقيقة أَنِّي كنت أتمنى أن أكون أكثر وسامة وجاذبية . كنت أطمح لو أَنِّي رَبٌّ عائلة محترمة ، صاحب منزل فخم وسيارة أنيقة ...

والله ... أجل فأنت الوحيد الذي أحلف بقداسته ...

لو كنت كما حلمت دائما لما تعاليت على الضعيف ولتعاطفت مع المسكين .

ولكن.. هي مشيتك وإرادتك وليس لي معك يا خالقي سوى الحمد والإمتنان فأحمدك اللهم على ضياعي وتبهي . وأشكر لك فضل الفاقة والحرمان فخير لي أن أكون إنسانا محروما من أن أكون وحشا كاسرا .

.....

أأخطأت في شيء ؟

قد أكون فعلت ولكن ألا تراني لا أقدر على مصارحتك ومحادثتك منهم ؟ أعلم أَنَّهُم جبناء... ولو أَنَّهُم شاهدوني أو سمعوني لنعتوني بالجنون والاحاد
.....

له دون سواء .

عندما تسَلَّكت رانحته إلى أنفه تنهَّد من الأعماق وتسارعت خطاه من دون أن يكون راغبا في ذلك . لحظات قصيرة ووجد نفسه قي مواجهة موجة المتلاطم وزرقتة التي استحالت سوادا .

ألقي جسده باهمال على الرَّمْل فأحسَّ ببرودة زادت له لذَّة وانتعاشة ولأوَّل مرَّة وهو في حضرة البحر يتلهَّى عنه بالنظر إلى السَّماء

ترى كم يفصلني عنه ... سنوات سيع ومعها آلاف وآلاف من الكيلومترات ؟ لماذا يراني ولا أراه ... ؟

أَلَا تَه رَبُّ هذا العالم ؟ أنا أيضا رَبُّ تلك الأسرة المسكينة ... ؟

هل تراه بحق الوهاب ، العادل ، المسامح ، الكريم ...

... فلماذا لا يهني ما أحمد به جوعي وجوع عيالي ... أفيسره أن أشقى وينعم آخر بشقائي ... أبعقل أن يكون الجهلة أسياد البلاد والقوامين على العباد .

لا لشيء إلا لأنهم سلاطين المال والجاء ؟ أترضيه معاناة أُمته وما تلقاه من ظلم وابتزاز ... ؟

اللَّعنة ... بماذا أثرثر ... أجننت أم ماذا ؟

.....



قصة إنتظار

بقلم : بومرزوق زين الدين

أنا البداية ..

كنت اللحظة التي ولدت من رحم عينيك ..

حينها كان بريقك

نورا على نافذة ، هي فتوحات الكتاب

وصورة الشعراء ..

يا أيتها الموبوءة بالقصيد شعراؤك غادروا

حداق الوجع .. هم هانمون ..

أنا لم أكن أدري باللحظة التي ستطفئ فيها

أضواء المدينة كي تغادري فجيعتي وضياعي

الذي أسكنتني فيه . الاختيار هي لحظة

الوجود الحقيقي لذاتك في أنا . هل ستبقى

حازمة كالبرق والرعد حين يجتمعان ..؟

الأسطورة عندك لا تلد الحكايات فالجرائد

إمتلأت فالأقاويل وبعض الإشاعات وحقاتك

الموت الذي يزحف على الناس في كل مكان ،

ألم أقل لك مرة أن الاختيار هو انعكاس

صادق لمعنى الحرية ، فقط ... هي بعض

الأشكال التي توهمنا .. بفضاء أرحب لحركة

عابرة من لسان أويد كل ذلك للمزيد من غبار

الذاكرة كي تصعد الاجسام أكثر مع الزمن .

حينها قلت إن السقوط أكيد ..

كذلك الموت سقوط آخر

سفرك ووجودك بعيدة عني سقوط لا أتحمله

قاتل ...

تعليم أنالكل يتجنب أن يسقط .. وإذا أصبح

السقوط حتمية فاختيار مكان السقوط أصبح

أكثر من ضرورة السقوط في البحر غير السقوط

على اليابسة.

- ترى كم سقطت خلال رحلة عمرك !؟

- بعدد عبور جسدي على يديك الرحيمتين

ويعدد تناوب الليل والنهار على وحدتي ..

تناولت الجريدة ، نظرت إلي ، أردفت بعد تردد

: سأخذها ... ربما سأكتفي .. بنص القصيدة ،

... إذا كنت مصرة على السفر ، لا يهم خذها

كلها .. فهي بعدك لم تعد تعنيني ، ما الذي لا

يعنيك الجريدة أم القصيدة ؟

كلماتها

وقبل أن تغادري حجرتي في صمت حاولت أن

أكون أجلد من صخر إلا لحظاً لحب والفرق

أتلغا كل قناعلم أدر وأنا أضحك إلي أكثر ،

كي أعب أكثر من عطرك وحنانك فجأة..
أمسيت ذلك اليوم وحيدا .. لا يشبهني في
صمتي وغريتي غير هذا الوطن ، الذي تخلق
عنه الجميع لحظة المحرقة التي أشعلها أبناؤه ..
نسوا أن لهذا الوطن ناره الحارقة ،
تلتهم ألسنتها من تشاء ولكن أعلم أن رحمته
وسعت كل شيء حتى مع الذين خانوه وكبلوه
ورهنوه .

الله الله يا وطن

الله الله يا أنا

أي الأبواب أسرعها كي أقبض على حقيقة
الزمن الذي كبلنا بلحظاته ، المسأة تكبر في
بعد هذا الإمتداد الذي طال خطواتي عنك ،
عدت كالسراب كالحلم البعيد كصوت الغريق

تعالى مرة أخرى كي نبني صرحنا على أنقاض
ما تبقى من الحلم الناس تشيع أفراحها كل
يوم إلى النهايات التي شيدت على أطراف
المدينة ، تعالى أشيع قلبي إلى مشواك ، أينك
الآن كي أحمل روحي على كفي إلى نافذة
عينيك كي تذر الرياح وأنفاسك حرائقي من
على شرفات الإنتظار أنت المصعب ...
والإعلان الأخير يجهر بعودة الأمل والحلم .

الرغبة في اللقاء ، تكبر في ، أكثر كلما
بعدت مسافات الانتظار ، منذ ولدت وأنا
أنتظر أي شيء ، بغير في ، بعض ملامحي .
الصورة الأولى كانت طفولتي فيها حلمت

كيف أكون مثل الآخرين الذين يسافرون بعيدا
خارج الحسارة ثم القرية فالوطن
ليعودوا مع بداية كل صيف إلى « أرض
الجدود » فتستقبلهم الصدور بالترحاب والحب
وبالدموع التي كانت تحففها بعض الهدايا .

فيشيع البخور على الأبواب لتمتد خيوطه
الفضية إلى كل الفضاءات وإلى كل الرؤوس ،
فتنحرف في المساءات الأخيرة

المواشي لأجلهم ويترك أطفال الكتائب
يتمتعون بيوم عطلة إكراما لهؤلاء القادمين ،
كنت أرقب كل ذلك وانتظر ذلك اليوم الذي
أكون فيه مثلهم قادرا على إثارة الآخرين .

ولكنك أنت الآن تشيرين في ، ليس فقط ذاكرتي
ولكن أحلامي الطفولية حتى بعثت في ، ذلك
الرجل الذي تحدثت عنه كل البيوت وكل الرجال
وكل النسوة .

كانوا يخيفوننا به كلمات كلما بدت منا شقاوة
ما .

ورغم ما كنت أسمع عنه إلا أن إسمه المعلن
بصفة التقدير « سي العربي » تجعلني أستغرب
هذه الشخصية النكرة باسمها الذي لا يوحي
بأي شيء غير إنتمائته العربي « سي العربي »
هذه الحكاية أثرت فيّ ربما شخصه كان فاعلا
كالسحر الذي يمتد إلى بعد هذه الستين الطويلة

سي العربي الذي ألهب النفوس بالشوة ضد

القرية الذي تبعث منه ذكريات الزمن الجميل الذي شهد أغرب قصص الحب المباح ، يوم الأحد حاصر سكان القرية من الرجال هذا المكان إلى يوم الثلاثاء ، ولما ينسوا قالوا الحل يكمن في تحطيم هذه البناية الخرية حتى لا تبقى مأوى لأولاد الحرام ..

قالوا بعدها ... إن هذا الذي رفض الثورة بلا شك يتعاون أو هو عين المحتل علينا أنه يحاصرنا مثل هذا المحتل ... يجب قتله ... وصدر الحكم النهائي .. هم يريدون قتل الحب وإعدام الثورة بحديث روادهم خوفا على شيء سمعوا به لا غير هي الغيرة .

صدقيني لقد كنت رغم صغر سني أنذاك أطمح أن ألتقي بهذا الرجل لأعرف حقيقة لماذا يحارب هذا الرجل ؟ لقد كان يتسلل بفرح الأيام التي كان يصنعها كقطع الحلوى التي يتلذذ بها لوحده من دون أطفال القرية الذين حرم من حبه له أو هي فوق سمائه ترفرف كطائرات الورق التي يصنعها بيديه لتحلق منفردة دون تعقب خطوات وصراخ الصغار .

أعجب لماذا تتوقف حكايا الناس مثلما أرادواهم ، لا كما أراك القدر ! لقد صمتوا عن بقايا هذا الرجل التي ربما كانت تشرفهم وإكتفوا بقصة حبيبته التي رسمها كرفيق في زنده وشما ، كي تمنحه رغبة في الحياة ولم يتحدثوا عن رصاصة تزين كتفه بعد إشتباكه الشجاع مع

الظلم ، هذا الرجل لم ينتفض من أجل تحرير الأرض لأنه كان مقتنعا بعدم قدرته لوحده على تحقيق هذا الشرف .

كما ردودا عنه قوله :

كلنا نصنع الثورة أما أن تنتظروا زعامتي عليكم فلا ، ثوروا جميعا ... بكم يتحقق الحلم .

الثورة مثل الحب أكد لهم ، عندما نعرف الحب نعرف كيف نتحرر من قيد المحتل أي كان شكله .

كان كلامه جميلا وقصته أجمل مع إحدى بنات القرية لا أدري لماذا بعد كل هذه السنوات يتحفظ الجميع عن اسم العشيقه وعن هوية والديها ومسكنها ... ! ... ألا ترين أنه نفس التوقيت الذي نلتقي فيه بفارق بسيط وهو بدل إحدى حدائق العاصمة التي أصبحت مأوى لكل الإنحرافات كان هذا البيت عش لقاء اتنا .

لماذا كان يشيع خبر لقائه بحبيبته حتى لم يعد أي رجل يهتأ له بال إذا لم يقفل بابه وراءه بعد أن يطمئن على عدد بناته .

ولما طال الأمر بهم كذلك وحوصرت القرية ليوم الخميس كله أشاع ثمانية أن حبيبته تتسلل إليه مساء كل اثنين هذه المرة بأكثر تفصيل بعد أن بين المكان الذي يجمعهما وهو ذلك القصر المهجور القابع في إحدى مخارج

لقد ذهب الرجل يا باية دون أن أقبض على ملامحه ولون بشرة وجهه أو اختزن في اعماقي نبرات صوته ودون أن ألس متحمسا بأناملي جراحه . كان ذلك آخر صرح في حلمي يتحطم وقد بنيته على وجع الإنتظار الذي أبقي أتعقب ظلاله التي يرسمها وجودك في حياتي من خلال هذا الجسد الذي يستعد للسفر .
بعد صمت أذكر أنك أردفت .

الموت يحاصرنا ، كما ترى ، كل الشعاب وكل المهارات وكل البيوت مراقبة حتى ما نكتبه وما نبوح به على الورق نحاسب عليه بالموت ربما يكون ذلك من أقرب المقربين إليك ... أقول ذلك لأنني أخشى عليك أكثر من خشتي على نفسي .
و لكنك لم تحاولي ...

لم أحاول ! ألم يكفك كل هذه المسافات التي أقطعها مساء كل خميس من أجلك كي نلتقي خفية .
أريدك دائما إلى جانبي .
كي تنتهي سريا في إحدى غرف المنار وتحت الإقامة الجبرية أنا لا أطيق ما قد يحدث لي هناك أحبذ أن اتلاشى مثل سي العربي ولا أعيش حصارهم لي .
ولماذا هذه الهزائم السابقة عن أوانها .
أتقول ذلك وأنت تضم في هذا الإنسان الجسد روح الشاعر الذي يتنبأ ...

قافلة عسكرية للمحتل كانت تحمل بعض الأهالي للمحتشد بعد أن سمع أن حبيبته ضمن هذه القافلة لماذا صمتوا عن قضية الشرف هذه ؟ أظن يا باية أن الجبال لم تنن لأثينه الذي فجرته بعض الشطايا التي مزقت لحمة كتفه وإنما كانت تردد صارخة ثوروا لشرفكم المحصول على شاحنة عرجاء لماذا تقتلونني وتهذروا دمي لمجرد لقاء أضعه في مخيلتي ووطنني ومع إبنة قريتي .. الحب في ثورة يجب أن يتفجر فيكم ، كان يصرخ صدي لا يتسع لهذا الصمت المكبل بنظراتكم وترقبكم باباية لقد تردد بعد ذلك أن هذا الرجل الملقب بسي العربي قد تلاشى كقطع الثلج عندما تكتسي بأشعة النهار الدافئة وخضرة الفضاء المفتوح على قريتنا

ذهب سي العربي في صمت دون أن يعلن عن موعد آخر ، فمارست بعده هوايه الانتظار كانتظاري لك ، كي تشبع في رغبة الحياة بعد أن تذرني بنورك في زمن الخوف ، لتبدأ مع السكان ولآخر مرة حملة التفتيش على بناتهم ربما تكون إحداهن قد اختفت معه وباكتشافها يكتشف سر العشيقة .. إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث وخرج بعدها الناس إلى فضاءات القرية كعادتهم يمارسون طقوس الحياة اليومية ولكن هذه المرة من دون سي العربي .

.. أنا باباية لا أتنبأ إلا بحبك لي ووجودك الدائم معي .

.. ألم تر آخر الفجائع التي تحدثت عنها الصحافة عبر الشريط التلفزيوني الأخير حول أطفال المنار أو صحفي المنار أو أحلام المنار .

.. ولماذا ، كحل وسط لا نذهب إلى إحدى المدن الداخلية ؟ !

.. فكرة مغرية ولكن غير مجدية .

.. هل لك فكرة تحملني معك إلى بر الأمان ...

.. في ذلك تراني غارقة إلى حد الجنون، اللقاء، وذهبت وكان وعدك آخر الفجائع وأمر مقضيا .

الآن أنا محمول إليك ، قد يخبروك بفجيعتي

، وربما ستقرنين في شريط أخبار المساء عن رصاصات مزقت جسمي لقد اختارت جسدي

كنهاية للإنتظار .

إنني أتحسس شظايا على كتفي ..، إنني أسمع

همسهم إنهم يرددون

.. إصابة قاتلة ، لقد إستقرت الرصاصات إلى

جانب القلب .

.. إسرعوا به المسكين ربما لا يلحق ..

ردد آخر بعدما لاحظ ملامح وجهي .

.. إنه يتسم

أكد صوت يأتي قريب مني

.. إنه يودع هذا العالم التافه بابتسامة، إنها

راحة الموت .

« الموت تعطي راحة » الأضواء الكاشفة

تتكرر أمامي ومنه سيارة الإسعاف المستمر يفكك الصور من مخيلتي .. إلا صورتك وصورة أمي رغم إنحناءات أحدهم ربما هو الطبيب المرافق الذي يتفقد عمق عيني وحركاتها .

لم أدر كيف تقفز صورته أمامي ياه يا باباية . كم هو رائع ... أخيرا تكون نهاية الإنتظار برؤيته إنه هادئ إلى حد القلق .

وأخيرا أركم جميعا وجهك ووجه أمي المرهق ووجه سي العربي ... حاولت أن أرفع يدي لأتحسس جراح كتفه حاولت أن أحده أسئلة لماذا أنت صامت هكذا .

ألم أقل بأن الحب ثورة، تحدث كي أسمع صوتك ونبراتك ،

أنه يتوسطك باباية وأمي ..، إنها تنظر إليه وتكي وتنظر إليك فتبتسم .

إنني أسمع أنه يردد وهو يتطلع إلى مناديا

.. يا أنا ... يا أنا ..

من أكون أنا ومن يكون هو ، حتى يناديني به : يا أنا ، ؟ !

وقبل أن أغمض عيني على ملامحه همس في أذني .

« لا تصلح المحبة بين إثنين حتى يقول الواحد

للآخر يا أنا »

إنني أحبك ..

المهرجان الوطني للأدباء الهواة في دورته الثالثة عشرة

متابعة : بلهوان الحمدي

فائزة :

للمرة الثالثة عشرة نلتقي ، بنفس طموحنا الذي جئنا به في الدورة الأولى ، وب نفس الحلم : غدنا الذي نتعقب خطاه بصير ومثابرة ، ذاك الذي وصلنا بأعذب ما تزوّعت به زهرة أمسنا .

لاشيء يتكرّر رغم ذلك ، كأننا نلتقي لأول مرة ، حتّى الترحيب وكلمات السلام التي تذبذب جدتها بالتقدم ، تزه على ألسنة غضة جديدة . لم نضع ميثاقا ولا كتبنا عهدا ، ولكن مشروعتنا واحد : نأني لنبقى ، ونكتب لنسمي غدنا الذي هولنا ، بلطف نطلب من أجدادنا الأجلاء أن يكتفوا بحصّتهم من النّهار ، وأن يتفوّوا ظلّ أمجادهم الوارف ، نقول لهم : هذا يومنا ونحن أدرى به وأقدر على محاورته ، نحن لهذا اليوم كما كنتم لأمسنا . نفتح أفقا ونسكنه . لانهلم بل نعيش أحلامنا ، نوسعها إذا ضاقت ونعلي سقوفها ، نعيد صياغة الجغرافية لنسكن بيت

الإبداع الأدبي ونعود به إلى عهده الأوّل : خيمة لغوية تسمي الوجود وتسع النّهار .

عُتبات المهرجان :

نحاول أن نرصد أهمّ ردهات المهرجان بعين متلصّصة إنتقائيّة ونقدية على وجه الخصوص : أقباس المعرفة (1) الورشات (2) شعراء وشعر (3) بعض الشتات (4)

1 . أقباس المعرفة :

1 . أسئلة التّجربة الشعريّة الجديدة بالمغرب الأقصى (الدكتور محمّد الشّرقاني - كليّة الآداب ظهر المهران - فاس)
اعتمد الأستاذ المحاضر على نصوص لأسماء مغمورة تمارس الكتابة في محترفات (ورشات) كليّة الآداب بفاس . فالنماذج متربّصة إلى الوجود . ومنذ البدء يقول الباحث : « لن أغازل هذه التّجارب بل سأرصد مناطق الضّعف فيها وأطرح أسئلة » حول بنية اللّغة وبنية المعنى وبنية الإيقاع .

أمّا من حيث هي كانتات لغوية تتبدّى

أنّ القصة القصيرة لم تضبط لها قواعد سابقة لكتابتها وممارستها ما ليس قصة قصيرة؟
- الرواية لأنّها تستبطن الواقع وتفسّره بهذا ليس من شأن القصة

- المقالة وتسمّ بحضور قويّ للكاتب ومباشرة وتعميم والقصة الجيدة تنأى عن ذلك
- المقالة القصصية وهي الخطاب التأملي المباشر كالتي نقرأها في (المعذبون في الأرض) لطفه حسين وفي أغلب ما كتب عبد القادر المازني والمنفلوطي .

بنية وخصائص القصة القصيرة ؟

القصة القصيرة نسق سردي مغلق غير قابل للتعدّد (الأصوات - المواقف - الأشخاص)
البداية - إلغاز - لا إسهاب ولا تجميع
فهي ليست تقدّماً أو تهجيلاً للنصّ
النهاية - القطب أو اللبّ - مفتاح اللغز

وهي لحظة الانكشاف والتنوير كأن تكون جملة أخيرة في النصّ أو ربّما اللفظة الأخيرة من الجملة الأخيرة أو علامة تنقيط أو بياض يشي بالصمت ، بل قد تكون نهاية القصة في لهجة الخطاب (سخرية مثلاً) وهي تحتاج إلى سارد محتال وقارئ فطن .

وانطلاقاً من طبيعة القصة القصيرة التي يرى الكاتب الأمريكي « ألان بو » أنّها تقرأ في نصف ساعة استوجب الأمر الاقتصاد في ذكر التفاصيل والتركيز الوظيفي وصولاً إلى

النصوص الجديدة ذات لغة مفسولة وأهية تشكو من الخلخلة وتنتمي إلى المعجم التواصلي التداولي العادي . فهي إذا لا تبلغ مدار التأويل من حيث المعنى تهيم « تيمات » اليأس والانزهاض والألم على أغلب قصائدها فهي تترجم عن ذوات منشطرة غارقة في الجرح ومنسدة الأفق ممّا يؤول بها إلى الإرقاء في أحضان الحلم و « شطحات الدراوش » .

فالنصوص المدروسة غموض وإبهام في المعنى تسفر عن نويات هذيان من حيث بنية الإيقاع (الموسيقي) تنفلت الكتابات الجديدة عن الكلاسيكية التقليدية أي عن سيمتريّة العمود الشعري القديم وتلجأ رغم ذلك إلى تمثّلات صوتيّة تفرغ النصّ من شعريّته . فالإيقاع هو وليد شكل الألفاظ والمعاني وليس مجرد نظم .

2 - تقنيات كتابة القصة القصيرة (الدكتور محمود طرشونة - كلية آداب منوبة - تونس) :

والرجل أستاذ أدب مقارن بدأ قاصّاً (التوافذ) وانتقل إلى الرواية (دنيا - المعجزة - التمثال) بدأ بتعريف القصة القصيرة بأنّها فنّ صعب جداً غير مسيَّج بقواعد أو ضوابط ولكن ذلك لا ينفي بعض ثوابته نعرث عليها في النصوص التأسيسية التي أبدعها الرواد في العالم الغربي (تشيكوف - موباسان - ألان بو...) أي

وقد أتمم مقالها « الحياة بحثا عن السرد » بالإيجاز الشديد .

بقي أن نشير إلى نواحي لا يصحّ بها المشرفون على الورشة منها أن :

* استمراء نصّ شعريّ أو قصصيّ يحتاج إلى نفس مفعمة وحس شفيف يكون خلاصة معايشة حبيمة للتّصوص وإلفة مستديمة لشئى ضروب الإبداع أكثر من حاجته إلى مناهج صارمة ومنظومات نقدية أو حديثه تحاول وتجهّد نفسها لجعل الخلق الأدبي مشروطا رهين سلاسل وأغلال .

* بعض المشاركين من « مشاريع النقاد » يحسب نفسه سلطة تشريع وتلغي ما بدا لها من النصوص بترجيبة متهاققة وادّعاء « أكاديمي »

* بعضهم يحلّ بل يضمحلّ إلى درجة التلاشي في أستاذه . فتراه يتمثّل طرائقه واتّجاهاته بل يقلّده في نبره وجلسته وأسلوب حديثه ويتبنّى أو يتلبّس بشخصية « دكتوراه » قصرا . وهذا سلوك لن ينشئ باحثين أو نقّادا بل نسخا مشوّهة من أستاذه كبار (توفيق بكار - حمادي صمود - محمود طرشونة ...)

3. شعراء المهرجان :

استضاف المهرجان شعراء من تونس وانفتح هذه الدّورة على الجزائر والمغرب من تونس قرأ مجدي بن عيسى « صاحب » تقرّيب

لحظة التنوير . يقول تشيكوف : « أفضل لك أن تقول مالا يكفي من أن تقول مايزيد على الحدّ »

تقوم القصّة القصيرة إذا على التّكشيف بالتّلميح والإيحاء بواسطة لغة نثرية فنية . « إن الأقصوصة إبداع في اللّغة وباللّغة » (صبري حافظ) .

2. ورشة المقال النقدي :

أشرف الأساتذة مبروك المناعي ومحمّد علي البوسفي ومحمد البوبكري على محترف المقال وقد راوحت الجلسات بين المتعة والافادة فمنهم من بحث في السرد (قصّة ورواية) وبعضهم قارب مجاميع شعرية لأصوات جديدة حضيت بمجموعة « مجدي بن عيسى » تقرّيب الشهرة « بمقالين باصضاء الصّديقين حافظ الطوجاني » و « محمّد الغانمي »

معزّ بن يوسف بحث في « آنية الزّهر » للشاعر عبد الفتّاح بن حمودة .

في مجال الرواية درس الأستاذ الزّوّاري نصّا من مسرحية « السّد » مركزا على جانبه التقني المسرحي .

كما اهتمّ الصديق صابر حباشة برواية حسن بن عثمان « بروموسور »

أمّا الأستاذة « سلوى السعداوي » فقد ردتّ على مقال للأستاذ « فؤاد القرقروري » حول رواية « دنيا » لمحمود طرشونة .

« حين يجهشنا القصيد » :

مطر على شجر / ليل قمر / عيون الله نائمة /
ولاتنام عيون الشعراء / ! / يادمه المستغيث /
يادمه ... / لاشعر اليوم / لاخمر / لاكللمات
/ لاجر نسكبه / كي يولد الوهم الجميل / هذه
الأرض أضيّق / من مدانا ... / وهذا الحزن
أكبر / فأَي اللغات تحتوتنا / وأَي الكلام .. /
يهدهد دهشة الحلم فينا / قصائدنا يا موتنا
الكثير / كم مرّة انطفأت / شمعة الرّوح /
وقلنا أخيرا / قصائدنا ... / كيف نجبهشك
الآن / كيف .. / ولا شعر اليوم / لا خمر / لا
كللمات / لاجر نسكبه / كي يولد الجسد

القتيل !!

4 (شعراء المغرب الأقصى : مرّة تصعّ مقولة
أنّ أستاذ الشعر ليس شاعرا مبدعا بالضرورة
فالبنون شاسع بين « الدكتوراه » في الشعر
والشعر من حيث هو فنّ وموهبة .

قرأ الأستاذ « الشّرقاني » مقاطع نثرية باردة
لم يتذكّر منها الجمهور المنصت سوى لفظة
« الكونتوار » التي أطربته ، ربّما أساء الشّاعر
الدكتور اختيار ما يناسب لإتشاده .

وما نقرأه في مجموعته « رفوف الذّاكرة » يبدو
أجمل :

يسرقني الرّيح من عينيك / يسافر بي عبر دمي
/ أنتصب شامخا / كالجدار / تنبعثين بين
الكفين / ماء / تنبعثين نارا / أه منك يا طيفا

الشّهوة » والشّاعر « مراد العمودوني » صاحب
« أوهام الطين » والرّوائي الشّاعر « محمد
علي اليوسفي » أنشد بعض قصائده النثرية .
1 - الشاعر « مجدي بن عيسى » تلا مقاطع
من قصيد : « أرواح مهملة » :
* السّور :

مستوحدا / يحرس مايليه / من شجر ومن
سحب / وقانعا كعشبة / لايعتربه من وقوفه
التّعّب / يقيم للفراغ هينة / ويجعل النّسيم /
وسائد وينثر الظلال / من حوله / أجمل من
سبائك الذهب
* الطّولة :

المعدن الحيّ وروح الشّجره / الزّهرة المنقوع
لونها في الضّوء / الورقه / القوّة السّوداء
والسّجائر المحترقه / / من ذا الذي
/ يثرثر في سكونها ؟ / من ذا الذي يوقّع /
أنفاسها المنتظمه

2 (الشّاعر « مراد العمودوني » : يقول في
« ذكرى » :

فؤادي / كيف يكون العليل / إذا كان وقع
الجفاء قاتلا / أطلت البكاء / على ذكرها /
ولازمني وجدها الخابل / وأجملت نفسي /
عساها تراني / فما عادني طيفها الخاذل /
رسمت على ظلّها صورتي / وقلت لمن زارني
راحل .

3 - الشاعر « محمد السّعداوي » : يقول في

فحبك الحب ما حب يماثله

حبي كحسنتك يا خضراء متفرد

4- بعض الشتات والهوامش :

الهوامش والمهمش والمهمشون من ثقافتنا العربية يداني أو يفوق ما يسمى بالمركز . من هنا تكمن أهمية الشتات والهوامش في نظري ، ارتأينا سرد بعض تجاربهم والتعريف بهم باختصار . إنهم بعض من أبدع في الإبداع بأنواعه : قصة وبعثا وترجمة واعلاما . كرمهم المهرجان منارات وشهادات حب وتقدير لهم .

كرم المهرجان القاص محمد عيسى المؤدب بمناسبة صدور مجموعته القصصية الثانية « أبة امرأة تكون » وقد قدمه صديقه الشاعر الوسيم الأنيق مجدي بن عيسى

واحتفل الملتقى بالدكتور فوزي الزمرلي مدرس السرديات بالجامعة التونسية وهو باحث شبه متخصص في القصص التونسي (الدوعاجي) والرواية العربية التي نال بها في أطروحاته « مظاهر التأسيس في الرواية العربية » شهادة دكتوراه الدولة في الآداب واللغة العربية وقام بتقديمه الدكتور مبروك المناعي بكل جلاء وشعرة وحميمية .

الأستاذ أحمد الرمادي حضي بشرف التكريم بمناسبة صدور الترجمة الفرنسية لرواية « الدراويش يعودون إلى المنفى » وبقي عمل

/ مصلوبا على جسدي / مذمتي طرقت / أبواب الدار / يسرقني الريح من عينيك / بجمع تطارده الفصول / تبليج الشمس / من أركانها الأربعة / يرسو وشما على القلب / حلول / يورق عنبا وزيتونا / يسرقنا الريح من عينيك / أنحس جسدي والخلايا / تصعدن نرفا قانزا / وطننا ومرايا

الشاعرة المغربية « لويذة بوليرس » هي أستاذة في اللسانيات والمنطق في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس . قرأت قصيدة رثائية في الملك الراحل الحسن الثاني وثنتها بأخرى مدحية عنوانها « تونس الخضراء »

الحب والشعر والإبداع والرغد

لواظها اليوم في الخضراء منعقد

من كل فج أرى عشاقها وفدوا

كي يسعدوها كما في حبها سعدوا

تخير الله أهلها وروعتها

هيهات تهفو كما يهفو لها الكبد

حبيبي تونس مذ كنت طفلفتها

ولم يزل حبها ينمو ويضطرد

أتيت من فاس صوت الماحدات

إلى ملاح تونس حيث الدل والدكع

هن الشقيقات ، هن الفاتنات وهل

بغير هذي الصبايا يزدهي الغيد

أتيت أشدو بها من وحيه نغما

للحب ، منه يغار البلبل الغرد

5. تحية حبّ نشرة :

نرفعهها عاليًا لمدينة عالية وغالية
هي مدينة قلبية الرائعة حيث الفكر ...
والعيون الحور نقول نجبك يا بلد النور بابلا دي
،نجبك يا جمعية منارة الأدب « في ظرف بلغ
فيه سعر اللاعب في ناد كرويّ تونسيّ نصف
مليار وتدنت فيه جائزة في النقد إلى ثلاثين
دينار!! كيف نسكت على غياب بل تغييب
الكتاب أصلا . هل بسلوك مماثل مكرم

الإبداع المبدعين !!

نرجو للمهرجان تجاوز أخطائه التنظيمية
البدائية (التنقل) وأن يفتح على المبدعين
الحقيقيين في الداخل وفي الخارج خاصة وأن
المشاركة المغاربية كانت باهتة وأشك في أنها
تمثل فعلا المشهد الأدبي في كلا البلدين
(الجزائر والمغرب) .

متعبّ لابراهيم الدرعوثي قبل ذلك نقل قصّة
« الأمير الصغير » إلى العربية وبعض قصائد
نورالدين صمود إلى الفرنسية .

هنا قلبية ! هنا لندن !

هكذا افتتح الإعلامي الشهير منبرشما من هو
منبرشما ! ؟

مثقف مهجر من فلسطين ، ولد في مدينة عكا
ونشأ ودرس في صفد

اشتغل مدة طويلة قارنا للأخبار في القسم
العربي لإذاعة لندن البريطانية . كما عمل مدة
وجيزة بالإذاعة التونسية بعيد الاستقلال
وللرجل ذاكرة مع الأرض والمنفى والشفافة .
ويقوم الآن - وهو شيخ - بترجمة بعض
الكتابات القصصية العربية إلى اللغة
الأنكليزية .





«الرغبة الجميلة نحو إلتماس الحرفية»

* قراءة في تجربة الرسامة :
سعيدة هرايبي

حاورها : جلال باباي

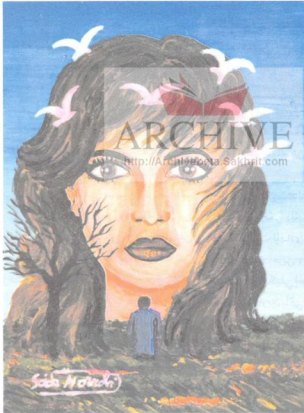
حين تمنعني في
التجوّك بين رسوم
الفنّانة العصاميّة :
سعيدة هرايبي ،
تعترف أنّ وراء
جمالها لمسات أنامل
أنثويّة ، تملكها
ولازال هوس رهيب
بلمس الفرشاة
يسكنها شغف وعشق
لاحدّ لهما بالفنّ
التشكيلي ولم يكن
ليتدعم موقعها
كرسامة هاوية ،
بدأت تشقّ طريق
الحرفيّة لولا التحاقها
بفروع اتّحاد المرأة
بأولاد حفّوز
وتشجيع أمنيّة
المكتبة العموميّة لها



إلتقينا هذه المبدعة على ضفاف مهرجان « مرآة الوسط » الأدبي من خلال معرضها الشخصي الذي انتصب مثل مطية جميلة نحو التماس الانتشار والمسك بأجديات الصنعة التشكيلية والإبهار ، فنسجنا معا هذا الحوار الشيق :

1. متى كانت أولى إنطلاقتك الفنية ؟

إهتمامي بالرسم كان منذ الطفولة إذ أنني كنت دائما أرسم عندما كنت بالإبتدائي أو حتى بعد إنقطاعي عن التعليم ، إذ أصبحت أرسم عدة رسومات لإخوتي في كراساتهم أو أعطيهم رسومي وعن طريقهم نلت شهرة بسيطة وكان لها صدى عند التلاميذ أو المعلمين ، وكان الموضوع



والتقنية يشهدان تطورا بمرور الأيام ، وتبلورت أكثر إنطلاقتي الفعلية بالتحاقني باتحاد المرأة بأولاد حفوز إذ لقيت التشجيع من عدة أصدقاء ، والمشرقة علينا ، ثم بدعم من أمينة المكتبة ودار الشباب ، تمكنت من رسم عدة لوحات وأقمت عدة معارض في دارالشباب ثم مشاركتان في المكتبة العمومية ، ولقيا نجاحا كذلك في لجنة التنسيق بسبيد بوزيد ، ثم على هامش مهرجان

« مرآة الوسط » .

2. بماذا تتميز لوحاتك ؟

المشأمل في لوحاتي يرى سيلا غير محدود إلى الإنطلاق ، إلى الإمام بكل مشاغلنا والإبداع الفني الذي يتجلى في قدرته على إضفاء المعنى على كل ماهو مائل أمام عينيه ، وبذلك رسمت عدة رسومات وتنوعت مواضيعها من : حلم - دمار - عجوز - فتاة - البحر - الطيور . لكن يبقى حضور المرأة والمشاهد الطبيعية في لوحاتي حضورا مميزا ربما لأنني أعشقها وأعشق مايحملاته من جمال وحياة وحنان ونور ...

3. ماهي أفضل أوقات للرسم لديك أو متى

ترسمين عادة ؟

في طفولتي كنت دائما أرسم للنور وكان يمثل لي الرسم وسيلة تسلية مفضلة أثناء الدراسة وبعد انقطاعي عنها ، ثم تضاعف هوسي بهذا الفن وأضحى وسيلة أطل من خلالها عن العالم وأبحث من خلالها أيضا عن ذاتي ، إن ولهي بريشة الرسم يمثل عزائي الوحيد في هذا العالم .

أما بعد ذلك ، وإن مكنتنا من الهروب من الواقع للحظات فأننا نجد أنفسنا مجبورين بعد ذلك على العودة إليه ، فكنت لا أستطيع أن أرسم إلا لحظة أشعر بأنني مرتاحة البال ، وعندما أكون قلقة أو منزعة أرسم ، لكن سرعان ما أمزق ما رسمته عادة ما يدهمني

شيطان الرسم في المساء .

4. ماهي المدرسة التشكيلية التي تنتمي إليها ؟

المدرسة التشكيلية التي أنتمي إليها هي المدرسة الكلاسيكية

5. ماذا تعني لك هذه الكلمات ؟

*الرسم : فن من الفنون الجميلة والرائعة ، هو إحساس جميل بالسعادة وميل لا محدود لتشكل عالم جديد .

*الريشة : هي وسيلة وتقنية لكساء اللوحة وهي القلم الجميل المطواع الذي يمكنني من أن أنشر كل ما في ذاتي .

*الألوان : هي كساء جميل ينسجه الفنان بإحساس وهي مرآة عاكسة لشتى الألوان وطباع الأشخاص وأحاسيسنا أمام مختلف المشاهد .

6. من يصحبك من الرسامين والرسمات التونسيين ؟

الحقيقة ، ليست لدي معرفة كبيرة بالرسامين التونسيين ، لكن ذلك لا ينفي أنني إطلعت على عدة رسومات للهادي التركي ، رشيد الفخفاخ وعدة رسامين آخرين .

7. الفن التشكيلي إحساس مرهف ، فهل هناك

علاقة بينك وبين باقي الفنون مثل الشعر المسرح والسيتما ؟

الفن التشكيلي إحساس مرهف بالجمال ، بروعة الأشياء من حولنا وبالرسم نخرجها من حالتها الطبيعية المحسوسة وتضفي عليها المعنى

9- ماهي تطلعاتك المستقبلية لتحقيق الإشعاع بأعمالك الفنية نحو تخوم الإبداع ؟

تطلعاتي تتراوح بين صقل المهوبة ، والتمكّن من إستعمال أقصى ما يمكن من تقنيات الرّسم ثمّ بلوغ الإحتراف ، أي التمكن من قواعد وقوانين الرّسم ، والإطلاع على مميزات وطبيعة كلّ مدرسة تشكيلية لتحقيق الإنتشار والإشعاع المنتظر سواء محلياً أو وطنياً .

10- كلمة الختام :

لأختم هذا اللقاء ، كلمة شكر إليكم على هذه المبادرة اللطيفة للتعريف بهذه التجربة العاصمية المتواضعة ، وكذلك أهدي قبلة على جبين مجلة « الإنحاف » وكلّ من ساعدني خاصة الأخت : هنية خليفي ، كما أقدم إلى كلّ الأصدقاء « لاسينما الزماني » بحبّ وأقول لهم ، لتكن مجلة « الإنحاف » جسر تواصل وتعارف وتبادل معلومات بين المواهب .

فتصبح حاملة للدلالة ، وهونّ قوامه سعة الخيال وقسرة على التحكّم في الرّيشة وتطويعها بذكاء ، وكذلك الشأن بالنسبة لبقية الفنون سواء كان شعرا ، مسرحا أو سينما ، فهي وإن اختلفت في التقنية مع الرّسم ، تلتقي معه من حيث تناولها لقضايا ومشاكل إنسانية ، ثمّ إنها تسعى دائما للتجسيد الواقع ومن ثمّة نقده .

والفنون عموما متكاملة ، ينبع جميعها من إحساس مرهف بالجمالية وسعة خيال متميزة .

8- كيف يمكن أن تنمّي هذه المهوبة لديك ؟

يمكن تنميتها بثلاثة عناصر رئيسية :
- وفرة الإمكانيات
- العزيمة

- دعم المؤسسات المعنية ، فهي تساهم في صقل المواهب .

بقية ص 85

عنه راغبة عن مداعبته .
في تلك اللحظة بالذات تحجر جسمه وعلقت عيناه بالسّماء ولم يعد يذكر سوى الأسماء السّعة والسّعين لحالقه .

أحسن صاحبنا بجسم رطب يمرّ فوق قدميه ، رفع رأسه قليلا لتضعقه رؤياها كانت أفعى .. أجل أفعى طويلة الجسم لسانها يتحرك من دون أن يقطر ذلك السّم الذي بداخلها ، والعجيب أنّها بدأت في الابتعاد

كلمات للعام الجديد 2001

شعر : محمد العائش القوتي

: 2001

يا عامنا الجديد ...
يا بسمة في شفة الوليد ...
ماذا ترى قد خبأت لنا الأيام في
طياتك
لكل طفل بائس يبحث عن صديق
لكل مغترب
أضاع في مسارح الخليل والطريق
للسود في إفريقيا الحزينة
لفلسطين ... أرضنا الأمينة ...

: 2001

يا عامنا الجديد ...
هل تحمل الأنوار والأضواء ؟
لكل شعب جائع فقير ...
لكل حرف في الدجى أسير ...
ينتظر الشروق والنهار ...
هل جئتنا بالحب والأزهار ؟
يا عامنا الجديد ...

2001